عالِمٌ مِعطاء

غفلت عنه الأضواء

الوالد الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأنصاري

جمع وإعداد

د/ محمد بن عبد الله الأنصاري (أبو عمر)

٩٢
ع

مطابع الدوحة الحديثة المحدودة

٩٢٠٫١١٢

عالِمٌ مِعطاء

غفلت عنه الأضواء

الوالد الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأنصاري

مكتبة الأنصاري العامة
قطر
الدوحة

مكتبة الشيخ عبدالله الأنصاري العامة
الرقم العـام : ....
رقم التصنيف : ....

جمع وإعداد
د/ محمد بن عبد الله الأنصاري (أبو عمر)

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، يهدي من يشاءُ إلى صراطٍ مستقيم، سبحانه علَّمَ الإنسان مالم يعلم، وخصه بالعلمِ وبه كُرِّمَ، والصلاة والسلام على من خوطب بقول الحقِّ :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾(1).

من أُوتِيَ جوامع الكلم، فكان أعظم الخلق فصاحة، وأسماهم بلاغة ﷺ، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ،،،

فالعلم رحم يجب أن توصل، ومن وصل الرحم ابتغاء وجه الله استحق أن يُوصَل ، ورَحِمُ العِلمِ أساسه الدين الذي اصطفاه الله لتلك الأمة الخاتمة، واختارها له، والعلماء معالم حقٍّ على طريق الهدى، ودلائل خير على صراط الله العزيز الحميد، وقد مَنَّ الله تعالى على الأمة الوسط، فزان علماؤُها كل عصر،

---

(1) سورة العلق الآية (1)

وظلـوا ركائز هـدًى في كل بيئة، إليهم يرجـع المسلمون في أمور دينهم، ويستنيرون بهم في شؤون دنياهم.

وقـد كان أسلافنا على القرآن وعلومـه ولغته أحرص، وإليه أسبـق، وهم به أوثق، ولمعطياتـه أفقه، لأنهم- والله حسيبهم- أخلـصوا التوجه، صدقوا الله فصدقهم، واستعانوه، فأعانهم، جَـدُّوا في طلب رضاه، وأمَّلُوا الثباتَ على هداه، والفوز بخشيته وتقواه، فإذا بالقلوب مفتحة لهم، والعيون قريرة بهم، والنفوس مطمئنة بعطائهـم، لاتنحرف بالهوى خطاهـم، ولا تكون لغير الحقِّ دعواهم وضعوا نصب أعينهم قول الله تعالى:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[(١)].

وقول الصادقِ المصدوقِ ﷺ:

« فـو اللهِ لأَنْ يهـديَ الله بـك رجُـلاً خَـيرٌ لَـكَ مِـنْ حُمْـرِ النعم[(٢)] ».

إذا أقاموا جُدوا في نـشره، وإذا رحلوا كان رحيلهم لبلاغه،

---

(١) سورة النحل الآية (١٢٥)

(٢) رواه البخاري ومسلم

وهم مع مـا أوتوا من علم، وما أُلهموا من حكمة طلاب علم ما عـاشوا، فالعلـم نورٌ لا انقطاع له، وغيث لا تمـل الحياة نزولَه، فأنَّى يُشْغَلون عنه، أو يملون طلبه؟

ومـا كان الإعجاب بالشيخ إبراهيم بـن عبد الله الأنصاري إلا كنمـوذج بشري نشيط معطاء اختير له الطريق إلى القرآن الكـريم، وهو في الخامـسة أو السادسة من عمـره، واختار هو لنفـسه وهـو في التاسعة، وتـصدى للـدرس والتحفيظ وهو في الحادية عشرة من عمره، وحين بلغ الرابعة عشرة أبى أن يميلَ إلى الدعـة، أو يركنَ إلى الراحة، بـل عبر الخليج، ونزل منـزلاً بعيـداً عن مولـده ومَنْشَئِه، وخالط قوماً كانـوا له نعم العشيرة والأهل، وقُدِّم فيهم، وطابت عيشته، وعزَّت إقامته.

ألسنـا نعلم أن ابـن التاسعة- في العـصر الحاضر-مستواه الـصف الثالث الابتدائي، ومن بلغ الرابعة عشرة مقره الصف التاسع (الثالث الإعدادي)؟

فمـا بـال الشيخ إبراهيـم يختـار في الأولى محفظه ومعلمه وموطن الدراسة، ويصطفى للإمامة في الثانية؟

ويعيش في أهل (الخور) راضياً عنهم، مرضياً عنه منهم، بل يصاهرهم.

وفي الرابعة والثلاثين يعاوده الحنين إلى طلب العلم، فيخرجُ في طلبه، بل ينقطع له، وتؤكد فيه معايشته العلم جرأة في الحق، واعتصاماً بالشرع، وإن أوذي لتمسكه به، ويهجر أرضَ التمرد على حكم الله، عائداً إلى البلد الطيب الكريم أهله.

ألا تثير تلك التقلبات مع بروز شخصية الشيخ إبراهيم في كل موقف، حتى لقي ربه، ألا تثير الباحث؟

وفوق ذلك كله الوفاء لكتاب الله تعالى وأهله، وإظهار محركات العلماء، وجهادهم، وصدق مقاصدهم، وعظمة آثارهم.

هذا ما أردت التعبير عنه من خلال مدارسة حياة العالم الفاضل، والمفتي الصدوق، والمحكم الأمين الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن علي الأنصاري.

(وما توفيقي إلا بالله)

السيد حسن الوكيل

المستشار بمجمع الشيخ عبد الله الأنصاري

للقرآن الكريم وعلومه

مرجحات هذا البحث ودوافعه

لقـد كانت دوافع هـذا البحث كثيرة قويـة، يقتضيها الوفاء للدين الذي اصطفاه الله تعالى لنا واصطفانا له، ثم العلم الذي يرفع الله تعالى به ذويه درجات، وأخوة الإيمان التي تجمع أولنا بآخرنـا، والتآلف الذي يتخطى حدود الزمان والمكان، طمعا في أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾(1) .

ثم الغيرة على العلم والعلمـاء فذلكم الشيخ لم يُتَحَدَّث عنه إلا في وريقات بلغت ثلاثا وعشرين صفحة كتعريف به من ولده (خـادم العلـم) رحمهما الله تعـالى في مفتتح كتابـه (إرشاد الحيران لمعرفة آي القـرآن) مما دعاني إلى إلقاء الضوء على ما تيسر لي من جوانب عظمته، وكان منها:

١) اعتبار نشأته نشأة جهاد تسترعي نظر الباحثين.

(1) سورة الحشر الآية (١٠)

٢) تفرده باختيار (جناح) وهجرته إليها، وهو في التاسعة من عمره.

٣) طموحه المبكر، حيث رحل عن فارس إلى الخليج في الرابعة عشرة من عمره.

٤) براعته في لفت أنظار أهل (الخور) إليه، وإصرارهم على بقائه فيهم ومصاهرته.

٥) إجماع أهل (الخور) على اختياره إماما من أول صلاة يؤمهم فيها.

٦) عودته إلى (فارس) جاعلا هدفه الأسمى طلب العلم.

٧) التقاؤه (سلطان العلماء) وتقديمه له، وإعلاؤه بين زملائه.

٨) صدق فراسة (سلطان العلماء) فيه، وبشارته له وإجازته.

٩) جرأته في الحق، واعتصامه به، وترفعه عن الميل عنه.

١٠) تميزه في الفتوى، وقوة حجته.

١١) سبقه بالتخطيط للتربية في قطر.

١٢) إصـــراره علـــى صناعـــة التقـــويم القطـــري رغـــم فقـــد الإمكانات.

١٣) لــه تراث عظيم مُحَكَّماً في (فارس)، وقاضياً في (قطر) ومفتيــاً، ومعلمــا فيهمــا أكلــه النسيان،وغيبــه عنا عدم الاهتمام.

١٤) هــذا أقــل القليــل ممــا وصلنا عنه ــ رحمــه الله تعالى ـ استنتاجا أو حديثا شفويا.

١٥) ربما كانـت إقامته في (الخور) وفاء لهـا، وبِراً بها، مِمَّا أبعده عن الأضواء.

١٦) ولا أدري إلى من نتجه بالعتاب ؟

السيد حسن الوكيل

المستشار بمجمع الشيخ عبد الله الأنصاري

للقرآن الكريم وعلومه

ولادته

في أجـواء طيبــة عاطـرة ، وبيئــة خصبة نــاضرة قسم الله تعــالى لهــا الإسلام، وزكاهــا بالإيمــان ، واستــودع الله أهلها فطــرا نقية سويــة ، وهيَّأَ لمــن أراد منهم قلوبا سويــة نقية، في رحــاب هذا المجتمع عاش زوجان ، نشأتهما فارسية، وإن كانت أعْراقُهما إسلامية عربية مدنية أنصارية ، في اليوم السابع من شهــر رجب ١٢٩٨هـ عــام١٨٨١م في (جفر مسلم) إحدى قرى ساحــل فارس وُلِدَ لهما مولــود ، والمولود الذي نحن بصدده هو (إبراهيم بن عبــد الله بــن علي الأنــصاري) واحد من مواليد كُثُر في بيئات إسلامية أخرى ، والولد إذا صلح نعمة كبرى تعلي الوالدين، وترقى بيقينهما ، وتقربهما من الله تعالـى .

أيُّ عظمةٍ تحسُّها ، وأنتَ تتلُو :

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾[1]

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣٨

وأي مشاعر تغمرك وأنت تتدبر قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ [1].

إن زكريا ـ عليه السلام ـ شأنُه شأنُ الرسل عليهم الصلاة والسلام والمحدِّثُ عنهم مسك ختام النبوة ﷺ :منْ حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

« إنّا معْشرَ الأنبياءِ لا نورَثُ ما تركناهُ صدقةً » [2].

إنَّ زكريا عليه السلام يريد عقبا أمينا على تراث العقيدة، راضيا عن الله مَرْضِيًّا عنه منه مُرضيًا من يَحُفُّ به، فكانت البشارة بغلام سماه ربه ـ جل وعلا – اسما لم يسبق إليه غيره .

إن توظيف الخلف لخدمة العقيدة ، وحمل رسالة الإيمان بعد تربيتهم على منهج الله تعالى هو التوجه الحق .

(١) سورة مريم الآيات (٤-٦)

(٢) متفق عليه

جـاء إبراهيم بن عبـد الله الأنصاري يجـدد العهد بالذين آووا، ونـصروا، فجذوره التي انبثق منها تشق طريقها الوضيءَ حتى تـصِلَ إلى قيْس بن سعد بن عبـادة الأنصاري الخزرجي (قيس وأبوه سعد) وكلاهما صحابي ـ رضي الله عنهما ـ فإلامَ تنطلقُ رُؤَى الوالديْنِ رحمهما الله تعالى ؟

لقـد اختارا لـه القـرآن الكريم ، وهيَّـأه للدخـول في رحابه الطيبـة الطاهـرة، وذهب به والـده في سن مبكرة إلى المحفظ (مـلا محمد علي مدالي) فكان - رحمـه الله تعالى - حاضر البديهة ، سريع الحفظ ، حريصا على ما يحفظ ، دائم المراجعة لما اجتمع له من سور القرآن الكريم .

وفاة الوالد

شاء الله تعالى أن يموت والده وهو في التاسعة من عمره ، فما زاده ذلك القضاء إلا ثباتا على ما هو فيه من نعمة القرآن ، وكانتْ والدته رحمها الله تعالى خير عون وأكرم والٍ له بعد والده ، فشجعته، وشدتْ أزره ، وأولته عناية فائقة ، حتى يواصل مسيرته القرآنية .

ولسنا مبالغين إذا قلنا :كان الفتى شغوفا بالقرآن الكريم ولوعا به؛ فواقعه الذي وصلنا أقل القليل منه يؤكد ذلك ، وإلا فبم نعلل ما أقصه بعدُ ؟

لقد كان الفتى يجلس أمام بيت والده ، فإذا مر به عالم من العلماء، أوْ عارف بالقرآن الكريم نهض، وأسرع إليه، وطلب منه أن يستمع إليه، وقرأ عليه بعض ما حفظ من سور القرآن الكريم، فحاز إعجاب العلماء وأهل القرآن الكريم وإكْبارهم ، وباركوا فيه هذا التوجه الكريم .

أليس ما اعتاد الفتى أكبر شاهد على ولعه بالقرآن الكريم وحبه له ؟

وهـو مع حداثة سنه مشغول بالقـرآن الكريم شغل الصدوق الودود ، الحريص علـى الإتقان الجاد في طلب الإحسان فنراه ينتقد محفظه .

إن في محفظه عِيًّا يعوقه ، فلا يوفي كثيرا من الحروف حقها ومستحقهـا -كما يقول علماء التجويد ـ بل لا يكاد ينطق بكثير مـن الكلمات نطقًا صحيحًـا ، إنه تقرير تقديـري راشد موفق مـن فتـى يحفظ القـرآن الكريم، لا من محفـظ، ولا من خبير موجه .

ألا نقول إن الفتى سبق ذكاؤه عُمْرَه ؟

لقد تحول من مُتَلَقٍّ متعلِّم مُرَبَّى إلى ناقدٍ واعٍ بصيرٍ .

وإذا كان محفظه فيما يرى على هذا المستوى فما المخرج ؟

وأين المرفأ الذي تطمئن فيه سفينته، وترسو ، ويتزود هو بما تطمح إليه نفسه ، ويود أن لو ظفر به قلبه؟

إلى جناح

إنها (جناح)

قرية من قرى (بستك[1]) في أعلى الجبل ، بينها وبين (جفر مسلم) حوالي تسعين كيلومترا أكثرها صعود؛ حيث تقع (جفر مسلم) في سهل منبسط ، أما هي ففي شاهق يكلف المسافر إليها اجتياز طريق في الجبل نفسه .

ولم (جناح) ؟

لشهرتها بكثرة المحفظين المهرة بها، وكثرة العلماء فيها آنذاك .

وهل توافقه أمه ؟

لو تذكرنا أنها بعد وفاة والده أصرت على بقائه في مسيرته القرآنية، وحفزته ما سألنا هذا السؤال .

والذهاب إلى (جناح) يعني الإقامة الكاملة ؛ فالسفر في ذلك الحين ، إما سيرا، وإما ركوب دواب، أو عربات تجرها الدواب ، فهو لنْ يعود إلا بعد تمام دراسته .

---

(١) اختيرت (بستك) في العصر الحاضر لإقامة معهد ديني علمي لأهل السنة لسهولة الوصول إليها وتوسطها .

لقد أعجبها رشده، وزاد اهتمامها حرصه ، فحزمت له أمتعته ، وأوصته وباركت سعيه ، وانطلق الفتى إلى (جناح) وفيها وجد الفتى ضالته؛ حيث لقي في (جناح) عددا من المحفظين ، وأمَّ المسجدَ، فوجد حلقات للعلم عامرة بالطلاب مضيئة بالعلماء ، فمكث بها أكثر من عامٍ أتم الله تعالى له حفظ القرآن، فختمه، وقربته سماته الكريمة من شيخ مسن يدعى (ملا حسن عبد الله) فأحبه الشيخ ، وعرض عليه أن يعلمه القراءة والكتابة للغة العربية على طريقة (أبجد) ، فوافق الفتى، وأبدى استعداده ، وجدَّ الشيخ في تعليمه ، وتدريبه على الكتابة حينا على الورق، أو على الخشب، فإذا لم يتيسر شيء من هذا كتب على الأرض، وصحح له أستاذه .

لقد ختم ـ بفضل الله وتوفيقه – القرآن الكريم ، وأجاد القراءة والكتابة باللغة العربية ، وعمره إذْ ذاك إحدى عشرة سنة أوْ دونها بقليل ، ثم عاد من تلك الرحلة الميمونة مودعا تلك القرية الطيبة (جناح) ، ليشبع عاطفته، ويملأ عينيه من أم عزيزة مباركة ، ويحيا بين أهله وأحبائه ، يعلمهم مما علمه الله تعالى ، ويصلهم، ويشاركهم حياتهم .

إليه الخور

عاش الشيخ إبراهيم بين أهله وعشيرته ينعم ببر والدته ، وصلة رحمه، ومواصلة أحبابه وعشيرته ، ولكن يبدو أن روح التنقل كانت سارية فيه، وكأنه أتى ما صاغه حفيده الأكبر شعرا حين قال :

.... فالماءُ يَصْفُو عندما ينتقلُ[1]

فسبق به الجد الشيخ إبراهيم عملاً وسلوكاً .

لقد خرج - رحمه الله تعالى - من فارس إلى (دبي) عام ١٣١٤هـ /١٨٩٦م بصحبة جماعة من المسافرين، وبقي أياما ، وهو فيها بمعزل عن جماعته ، لأن دوافع خروجه تختلف تماما عن دوافع خروجهم ، وما خرجوا به من فارس غير الذي أخرجه ؛ فقد خرج بما أوتي من علم أعلاه وأسناه القرآن الكريم الذي من الله عليه به، فحفظه، أما هم فما أخرجهم إلا دنيا صاغها كل منهم وفق هواه ، ويرجو أن يصيبها .

(١) د/ محمد بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (ديوان إلى ولدي) الدوحة (مطابع الدوحة الحديثة) ط (٤) ص (١١١) .

فأنى يكون التفاؤهم به، وتفاعله معهم ؟

لقد عزم على السفر إلى (قطر) أو (البحرين)، فتوكل على الله، وأبحر في سفينة مع جماعة إلى البحرين، ولكن كما قيل:

.... تأتي الرياحُ بما لا تشتهِي السفنُ

والقضاء حق.

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (1)

ثم أليست الريح مأمورة مسخرة ؟

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ (2)

لقد هبت ريح شديدة فاجأتهم في عرض البحر فما كان لهم منجًى إلا اللجوء إلى قطر، بل إلى ساحل بلد منها لقد نزلوا الخور، وليتأمل المؤمن:

لقد كان المقصد البحرين، فلم هبت الريح في هذا التوقيت ؟

ولماذا لم يتح لهم غير هذا الساحل ؟

إنها إرادة الله تعالى، ومخرج الشيخ إبراهيم لم يكن إلا لينزل هذا البلد (الخور)، ويتلقى أقداره فيها كما سترى.

---

(1) سورة التكوير الآية (29)

(2) سورة الرعد الآية (8)

والتفكير سمة مميزة للإنسان بما مَنَّ الله تعالى به عليه من عقل غير أن التوفيق من الله تعالى يعطي الفكر سدادا ، ويمنح العقل رشادا .

ألم تــر إلى شعيب –عليه السلام –حين يعلـم قومه أنه إنما يعمل، ويدعو بتوفيق مــن الله تعالى يعصمه من الزلل ، فيقول فيما حكى القرآن الكريم عنه:

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (١).

ولنتابع الخطوات بعد مغادرة السفينة والحلول في الخور .

إنــه ومن معه غرباء ، ولم تسبق لهم معرفة بأحد من أهلها ، بل لم تكن في الأصل مقصدهم، فإلى من يلجؤون؟

لقد هداه الله ، واتَّجه إلى رئيس القرية إذ ذاك ، والذي كان يدعى (عيسى بن علي الإبراهيم) ، فأحسن استقبالهم ، وبارك نزلهم ، وأنساهم ما هم فيه من وحشة الاغتراب ، ودعاهم إلى العشاء على مائدته في ذلك اليوم ، يومَ وصولهم .

---

(١) سورة هود الآية (٨٨)

لقد أُذِّنَ للمغرب واتجهت الجموع إلى المسجد، وفيهم رئيس القرية ، وشاركهم الضيوف هذا التوجه ، وفي طليعتهم الشيخ ، وكما قيل : لم يكن للمسجد إمام ؛فقد رحل في نفس اليوم أوْ قبله بقليل ، واستطلع رئيس القرية ـ رحمه الله تعالى ـ الوجُوهَ ، فوقع بصره على الشيخ ذلك الفتى اليافع ، فاتَّجَهَ إليه بالسؤال :

هل أنتَ بالغ يا ولد؟

ولنقف هنا، إنَّهُ لمْ يسأله هل تحفظ القرآن ؟

مما يوحِي أنه قد عَرَفَ في اللقاء الأول به أنه من أهل القرآن الكريم ، وأولِي العلم .

وأجاب الفتى من فوْرِهِ : نعم .

فقال إذنْ فصلِّ بنا .

وكما هيَّأتِ الأقدارُ له التقدم ، والوصول إلى إمامتهم في

صلاة المغرب، وفقه الله تعالى فأحسن التلاوة، وأجاد الترتيل، وشرح الله تعالى له الصدور، وهيأ لحبه القلوب لجمال قراءته، وعذوبة أدائه، وحسن إمامته، فدعوه للبقاء معهم، وولاية إمامتهم.

استطاب الشيخ تلك الدعوة، ورآها فتحا من الله جل شأنه ، فاستخار الله تعالى ، وأعلن رضاه بما عرضوا ، وقرر البقاء فيهم .

توطنه في الخور وزواجه منها

والغريـب دائمـا مَهْـوَى مـن يحل فيهـم؛ ليتبينـوا خلاله ، ويكتشفوا عن قـرب سماته، ثم يكون حكم القلوب له أو عليه ، لقد أقبلوا إليه فرادى وجماعات ، وتمّتْ له بهم لقاءات، فأعجب به الشيـوخ ، وأكْبره الشباب، وتوافدوا عليه؛ لينالوا من علمه ، ويحفظـوا ما تيسر لهم من القرآن الكـريم هم وأطفالهم على يده، وتسابقوا في حفظ القرآن الكريم، وتنافسوا في التعلم منه، مـع ما تميز بـه الشيخ من عذوبة الكلام، وحـسن الاستقبال ، وسعـة الصدر، وجوْدة السمر؛ مما جعله لا يخلو من صحبة إلا في وقت نومه ، ورحبتْ به مجالسهم، وفي مقدمتها مجلس رئيس القريـة ، وكثرت دعواتهم له ، وعظـم اختلاطهم به ، فأحبوه، وقربوه، وأكبروه، ورأوه منهم وموضعه المناسب فيهم، وتوثقت بينه وبينهم أواصر الأخوة والمودة والألفة والمحبة.

ولكـن أي رابطـة تزيد وثاقة هـذه الروابـط ، وتقيمه فيهم بصفة دائمة ، وتجعله دائما منهم وبهم ؟

لا شيءَ غير الزواج.

بعد مُضِيٍّ ثلاث سنوات بدأ هو يفكر في الزواج، يكمل به دينه، ويجمع به أمره، وينفذ به شرعة الله تعالى.

وما غفل محبوه ـ وما أكثرهم! ـ عن ذلك، فقد جَدُّوا في البحث له عن زوجة صالحة، وإذا سلمت علاقة العبد مع ربه كفاه أمره، وأصلح له شأنه، وأتم عليه نعمته.

لم يمض وقت طويل؛ حتى اختار عقلاء القوم، وأدراهم بمعادن الناس زوجة صالحة، يقول هو عنها:

امرأة من أفضل النساء دينا هي المطوعة (فاطمة محمد المسعود)، فسارع بالموافقة، وبدأ يعد المهر ومطالب الزواج.

يقول رحمه الله تعالى:

وقد ساعدني الجماعة ـ أكرمهم الله تعالى ـ بمبلغ ثمانية عشر ريالا فرنسيا[1] فبادرت بالخطبة، وقمنا بإجراءات العقد الشرعي، ودخلتُ بها ليلة الجمعة من شهر ربيع الأول عام ١٣١٧هـ/١٨٩٩م، وقد رزقت منها بمولود عاش سبعة

(١) كانت تلك العملة السائدة إذ ذاك وهو مبلغ كافٍ.

أشهـر، وتوفاه الله على إثر مـرض الجدري ، ثم منَّ الله علينا بعـد ذلك بعام ببنـت هـي شيخة ـ رحمهـا الله تعالى ـ زوجة المرحوم (صالح بن أحمد بو مطر)[1].

وهكـذا أتمَّ الله تعـالى عليه نعمتـه ، وحقق طِلبتـه ، وبارك جيْئتـه ، وقرت عينـه بزوجة صالحـة ، وذرية طيبـة ، وعيشة راضية هانئة .

(١) يذكرنا قوله : ثم منَّ الله علينا ببنت بقول حفيده الأكبر د/محمد بن عبد الله الأنصاري :

فإن تَكُنْ أنثى فتلك الرَّحْمَهْ   يَخُصُّهَا المولَى بفيضِ النِّعْمَهْ

(ديوان إلى ولدي) ص(١٦٠) .

وطـول الوقـت لا ينسي اللبيـب واجبـات ألزم بهـا الشرع، ولا يطفئ طموحاً اشتعلت به النفس، وانعقد عليه العزم.

لقـد قضى الشيخ بالخور ثمانية عـشر عاماً تزوج بعد ثلاث منها، لم يَـرَ فيها أمه، ولم يسعد بالعيش في رحابها، ولها عليه حقوق، ولم يتيسرْ له معاشرة أولي رحمه، وصلتهم المباشرة، ولم يهنـأ بالحياة في عشيرته، ورغبتـه الشديدة في العلم، وحرصه علـى طلبه تطمح بـه إلى لقاء قمة من قمـم العلم الشاهقة في فـارس، بل على مستوى العـالم الإسلامي في ذلك الوقت؛ لذا بـدأ الشيخ يفكر جادًّا في العـودة إلى (فارس) بِرًّا بأمه، وصلة لرحمـه، ووفـاءً لعشيرته، وريًّـا لظمئه العلمـي، فاستخار الله تعـالى، وخرج من الخـور عام ١٣٣٢هـ الموافـق ١٩١٣م متجهاً إلى فارس، وجعل طلب العلم مقصده الأول؛ فركب إلى (دبي)، ومنها إلى (لنجـة)؛ فقد سَرَى فيه شوق شديد، وولع كبير إلى لقاء عالم جليل، ذاع اسمه في الساحل، وشبه الجزيرة العربية،

ومقامه (لنجـة)، وقد عُرِف بـ(سلطان العلماء)، فلم يكد تطأ قدمـاه أرض (لنجـة) حتى سأل عنـه، فَدَلَّهُ أهـل لنجة عليه، فاتجـه إليه، وبقـي عنده شهراً كامـلاً ينهل من علمـه، وينال مـن فضله، حتى كاد مـا هو فيه من نور العلـم والمعرفة ينسيه المقصد الذي من أجلـه رحل عن الخور، فاستأذنه في الذهاب إلى (جفر مسلم) لزيارة والدته، وأخيه، وعشيرته، فسمح له، ثم قال:

(سوف ترجـع إن شاء الله، وتدركُ الخير، وأَخِّرِ الزواج إلى العام المقبل).

وتأكـد للشيـخ إبراهيم حُسْنُ فـراسة المؤمـن، وكرامة الله تعـالى للصالحين من عبـاده في شيخه؛ فالشيـخ إبراهيم كان عازمـاً على الزواج فور وصوله إلى أهله، غير أنه لم يحدث به، فضلاً عن عـدم إعلامه (سلطان العلماء) بذلك، فكيف تَسَنَّى ذلك له نضر الله تعالى وجهه؟

وقـد كانت تلك الإشارة درساً لا بدَّ أن يتسع له القلب، ويعيه العقـل، ويقـوي العمل به العـزم، وتعلو بـه الإرادة لكسر جماح النفس، والتصدي لهواها.

ودع الشيخ إبراهيـم شيخه وداع العائد إليه، الحريص على لقائه، الجادِّ في الوفاء له.

ذهب الشيخ إبراهيم- رحمه الله تعالى- إلى (جفر مسلم)؛ حيـث الأم ال فاضلة، وشقيقه، وأولو، وأولات الأرحام، وأحباؤه وعشيرته، فكان الاحتفاء به كثيراً، والرغبة في زواجه عظيمة، وخـاصة من أمه التي ألَحَّتْ عليـه، ولكنه التزم وصية (سلطان العلماء)، وقال لوالدته:

بعد رجوعي إن شاء الله تعالى.

عودته إلى لنجة

عاش الشيخ في أهله أياماً معدودات (لم تتجاوز عشرة أيام) روَّى نفسه، وأمتع وجدانه، وقضى بين أهله وعشيرته أوقاتا قلَّ عددهــا، وعظمت آثارها، غـير أنَّ دواعي الرجـوع إلى شيخه وأستاذه تستعجله، وتثير كوامن شوقه إلى (سلطان العلماء) ، وإن لم يطـل غيابـه عنه، فهناك طموحـه وتطلعاته، وعلى الله تعالى أولاً، ثم على شيخه علَّقَ آماله.

عاد إلى (لنجة) حيث نور العلم الذي أضاء مسيرته، وعطر سيرته، وضاعـف أحبته، حيث العالم الذي عـبر إليه الخليج، وتعلـق به قبل أن تراه عيناه، وحملته الأشواق إليه قبل أن يسمع منــه ، فلما صار بين يديه عظم حبـه إياه، وَعَلاَ ولاؤه له، وسما شغفـه به، وأحـسن الشيخ استقباله، وأفسح لــه صدره، وأعلى بـين الطلاب قدره، فقـد كانَ الشيـخ إبراهيم يقظــاً لا يغفل، جادّاً في طلب العلم لا يكـسل، كثيراً ما يناقش ويسأل، ويراجع شيخــه، ويسجل، حتى رأى فيــه (سلطان العلماء) نمطاً فريداً من طلاب العلم، ونموذجاً فذًّا من جامعي الحكم، فكان المقَدَّمَ

عنده، المقرَّب منه، ولم يمض على وجوده عنده وقت طويل حتى سمع الشيخ يقول لأحد طلابه:

(إذا أُشْكِلَ عليكم معنًى فاسألوا الملاَّ الأنصاري)

يقول الشيخ إبراهيم :

(وكانت هذه هدية كبرى من الشيخ لي)

لقد تضمنت العبارة شهادتين من (سلطان العلماء) له:

أولاها:أنه صار (مُلاَّ)، وثانية الشهادتين:أنه أجاز الرجوع إليه في قضايا العلم، بذا يكون قد أجازه، وارتضاه للبتِّ في مسائل العلم.

مكث الشيخ إبراهيم بعد ذلك عند شيخه سنة ونصفاً قرت عينه فيها بما جمع، وتزود بزادٍ كثير من علم شيخه، وجمع من المراجع ما استطاع جمعه، واطمأنَّ قلب الشيخ إلى قدراته، ووثق بكفايته، وأهداه شهادته، وأعلن إجازته، فأعد الشيخ عدته للعودة إلى (جفر مسلم).

سماح بالعودة وبشارة

استأذن الشيخ إبراهيم أستاذه (سلطان العلماء) في الذهاب إلى (جفر مسلم) لزيارة الأهل، وقضاء بعض الوقت فيهم، فأذن له، وحدَّثه قائلا:

(إن شاء الله موفق، وتتزوج بإمرأة صالحة، وتنجب منها، وتقرُّبه عينك، وينفعك في الدنيا والآخرة ويحيي ذكرك) .

فطاب خاطر الشيخ إبراهيم، وأَمَّلَ في العودة خيراً، وفي الرجوع إلى أهله ظفراً، فقد عطَّرَتْ كلمات شيخه البشرى، والشيخ إبراهيم عظيم الثقة به، كبير التفاؤل بكلماته، فرجع إلى الوالدة والأهل، فلم يمكث غير سبعة أيام؛ حتى خطبت له والدته كريمة مصونة، بارة مكنونة، من خير نساء أهله، وكريمات عشيرته، وكان ذلك عام ١٣٣٤هـ الموافق ١٩١٥م ، يقول الشيخ إبراهيم رحمه الله تعالى:

(وكان هذا الزواج من أبرك وأسهل المطالب في حياتي ، وإليكم السبب:

لم يكن عنـدي ذلك اليوم مهـرٌ أدفعه، ولا مـالٌ أنفقه، ولم أُصَلِّ المغرب مساء ذلك اليوم إلا وقد وصلني من جهات متعددة مساعدات أكثر من حاجتـي، مساعدات من الطعام والدراهم والثيـاب، فكانت منة من الله تعـالى أسداها إلى عبده الفقير، أوزعني شكر نعمته)

ولكـن من هـذه الميمونة المباركـة التي بُشِّرَ بهـا من شيخه، وتفاءل هو بها، واختارتها له أمه؟

إنها أم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (خادم العلم).

أقـام الشيـخ إبراهيـم في أهلـه أكـثر مـن ثلاثـة أشهـر، ثـم عـاوده الحنـين إلى مجالـس شيخـه، وأريـج حلقاتـه، والتلقـي عنـه، وصحبـة طلابـه، فـكان لابـد مـن عـودة.

عودته الثانية إلى (لنجة)

رجع الشيخ إبراهيم بعد زواجه من أم عبد الله إلى (لنجة)، ولكن لم يطل به المقام هناك، غير أنه يحدثُ عن هذه الفترة حديث المعتز بها، الفخور بمميزاتها، المباهي بمحاسنها، يقول رحمه الله تعالى:

(وكانت فترة من أحسن فترات عمري، ماراجعت درساً، أو قرأتُ كتاباً إلا ورسخت في ذهني أكثر أحكامه وعباراته).

لقد مكث هذه المرة في (لنجة) أربعة أشهر كان حصادها أضعاف زمانها وكأنها كانت إعداداً إلهيّاً له، ليتحمل مسؤولياته العلمية المقبلة، وواجباته نحو الكتاب العزيز المتوقعة، ومطالب الشريعة التي تنتظره في منبته، وبين أهله وعشيرته.

عاد، وقد اتخذ من شيخه وحِبِّه (سلطان العلماء) مثلاً أعلى، ومن ذكرياته معه معالم سامية، ومنارات هادية على طريقه، يقول رحمه الله تعالى:

(وكان شيخي -رحمه الله- قوي الحافظة، قَلَّمَا يحتاجُ إلى

مسألة إلا ويقول: انظر في كتاب كذا، وفي باب كذا، بل ربما حدد الصفحة جهة اليمينِ أو اليسار، من فوق أو من تحت، وكان لهذا أطيب الأثر في نفسي، وأكبر باعث لتعلقي به، رحمه الله رحمة واسعة).

إنه لا يحدث عن (سلطان العلماء) بهذه الصورة إلا موقر له، مقدر لعلمه، معجب بسيرته، فخور بصحبته، وقد اجتمع هذا وأضعافه في نفس الشيخ إبراهيم لشيخه (سلطان العلماء) رحمهما الله تعالى.

استقرار ومحنة

رجع الشيخ إبراهيم إلى الأرض الطيبة التي نبت فيها، والأهل والأحبة الذين امتزج حبهم بدمه، واستنار به قلبه، وما أظنه قد عاد إلا ومَلأَ كيانه عزم على الوفاء، وحرص على العطاء لمن هو منهم، وبهم.

أما وقد آتاه الله تعالى علماً فلم لا ينفقه في مخارجه، وييسره لمن هم في أشد الحاجة إليه؟

عاد الشيخ إبراهيم إلى (جفر مسلم) وقد أجازه شيخه، وشهد له، ودعا زملاءه، ومشاركيه في طلب العلم إلى الأخذ عنه، فهو المحفظ، والداعية، والمفتي والمُحَكَّم، فيما يدعَى للبت فيه من قضايا، أو يحال عليه من شيخه (سلطان العلماء)، أو يصله بتكليف من (الخان) نفسه، وقضى على ذلك سنوات في (فارس)، وهي فترة ذات أهمية في حياته، استفتي فيها، ولم يُكْتَب شيء من فتاواه، وحُكِّمَ، ولم يصلنا شيء عما حُكِّمَ فيه، وماذا كانت رُؤيته فيما أُحيل إليه، والتمسك بالحق، وإقرار

العـدل، وتحكيم الشرع وإعلائه، محاور غـير أنها في كثير من الأحيان تناهض، ويوقف في طريقها، ويُعَادَى أهلها، استخفافا بالحـق وإعلاءً للأهواء، ومعـارضة من الطموحـات المستعلية الظالمـة. والابتـلاء سنة إلهية تصهـر معادن الرجـال، فتعلي الذيـن صدقـوا، وتهوي بمن ضعفـوا، وخارت قواهـم، ومالت إرادتهم خوفاً ورهْبة، أو زاغت أبصارهم طمعاً وفتنة، والشيخ إبراهيم ـ رحمه الله تعـالى- كان صعب المراس، قوي العزيمة إذا مـا نوزع في الحق، أو أريد منـه موالاة باطل، غير ناظر في عاقبة، أو متراجعٍ أمام ضغوط .

ويـسوق إلينا نجلـه عبد الله بن إبراهيـم الأنصاري حادثة ملأ صداها (بلاد فارس)، وسرت أنباؤها إلى (شبه الجزيرة العربية) .

لقـد حـدث خلاف بـين أمير منطقـة (جفر مسلـم) وأحد الأهـالي على مجـرى ماء النخيـل، والمدقـق في الأمر، الخبير بالعدل، العارف بهذه البيئة يرى الحقَّ للضعيف، غير أن الحق كثـيراً ما يكون كسيحاً إذا نافسه الجاه، أو وقف منه السلطان موقف عناد.

لقد حاول الضعيف أخذ حقِّه من الأمير، ولكن دون جدوى، مِمَّا اضطره إلى رفع الأمر إلى (الخان) الذي أولى الأمر اهتماماً، فكتب إلى (أمير جفر مسلم) يبصره بالشكاية المرفوعة إليه من المدعي (محمد علي) بخصوص مجرى ماء النخيل، ويحتم عليه أن ينطلق هو وصاحبه إلى الشيخ إبراهيم الأنصاري؛ ليحكم بينهما، ويستوقفك هذا التحكيم من (الخان)، ليطرحَ عليك الموقف هاتيك الأسئلة التي ليس لدينا إجابة لها:

ما بواعث اختياره للشيخ إبراهيم؟

(خاصة وأن الأمير مدَّعًى عليه)

وهل مجرد سماعه عنه كافٍ لانتدابه للتحكيم، أم أن هناك خبرات سابقة، ومعرفة واسعة بمواقف للشيخ إبراهيم، وإصابته الحق، وموافقته الشرع فيها، خاصة أن (الخان) سلطة عليا، وإقامته في موقع بعيد يدير فيه شؤون بلادٍ كثيرة؟

وأرجح الثاني؛ ألم تكن إقامة (سلطان العلماء) في (لنجة) وقضايا التحكيم تحال إليه من (الخان) خاصة، وغيره من

الأمـــراء، وكان يحيل منها ما يقع في منطقة (جفر مسلم) إلى الشيخ إبراهيم، ليحكم فيها؟

أيتصور أن يكون هذا دون علم (الخان)؟

ويثير انتباهنا موقف (أمير جفر مسلم) فقد أبى عليه جاهه أن يسعى إلى الحَكَمِ، واكتفى بإرسال خطاب الإحالة إلى الشيخ إبراهيم الأنصاري.

أيًّا مـا كان الأمر فقد نهض الشيـخ إبراهيم لإنفاذ ما كلف بـه، ومعــه ثلاثة من المحكمين مــن كبار أهالي البــلاد، ووصل المحكمـون إلى موقـع الخلاف، وعاينـوا مـوضع الشكوى على الطبيعة، وتأكَّدَ لهم جميعاً أن الحقّ ل(محمد علي) وأن الأمير مـدان بالتعـدي، غـير أن سطوة الأمـير عقدت لـسانَ الثلاثة المصاحبين للشيخ إبراهيم، واعتذروا عن التصريح بهذا الحق علنـاً خوفاً من الأمير، وفراراً من التعرض لجحيم سطوته، كل هذا، وصاحب الحق يشاهد، ويسمع.

فأنَّى ينتزع حقه من هذا الأمير الظالم، ويستعيد ما اغتصب منه؟

إن إعـلاء الـصوتِ بالحق في وجـه ظالم منقبـة، ولكن من يطيق ذلك ويتحمل آثاره وتبعاته ليكون من الذين صدقوا؟

يقول العلي الأعلى:

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1]

لقـد تخلى الكبـار عن نصرة الحـق، وإذاعة العـدل فماذا ينتظر من الشيخ إبراهيم ؟

لقد كتب الشيخ إبراهيم الحكم بيده، ووثقه بتوقيعه، ووضعه في يـد المدعي، الذي ذهب مـن فوره إلى الأمـير، وأطلعه على الحكم، فتحرق قلبه غضباً، ولووُفِّق لرأى في هذا الحكم مواجهة لسلطانـه، ولكنها بالحق الذي لا يعرفـه، وإيقاظاً لغفلته، التي أطالتها سطوته، وإعادةً لرشاده الذي افتقده بغرور منصبه.

ومن الموقع عليه؟

إنه الشيخ إبراهيم الأنصاري، ياللعجب !

---

(١) سورة العنكبوت الآيتان (٢ - ٣).

ألم يخف سطوته؟

ألم يخش سلطانه؟

ألم يضع في اعتباره أن المدان أمير، موالاته نعمة ومجافاته نقمة؟

لا يكون هذا إلا عند من حُرِموا الهدى، وجافاهم التوفيق.

هذا إنما يكون نعمة في موالاة الحق، لأنها لا تكون إلا نتاج معرفة بالله تعالى، ومجافاة للباطل، لأنه وآله حرب للحق جل شأنه.

ومن يقوى على حرب الله تعالى؟

خاب وخسر من تسول له نفسه ذلك.

جهر الشيخ بالحق، فاغتاظ عدوه حين رأى نفسه أميراً، وفي الحكم إعلاء لكلمة الله تعالى:

﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ﴾(١)

وكان الحكم واقعا عمليّاً لقول الشاعر:

إنَّ الأكابرَ يحكمون على الوَرَى   وعلى الأكابرِ تحكمُ العلماءُ

---

(١) سورة التوبة الآية (٤٠)

يحكم العلماء بشرع الله، لا بهواهم، وأملاً في أخراهم لا تعلقا بدنياهم.

أرسل الأمير إلى الشيخ إبراهيم بعض جنوده، فأتوه وهو يقرأ القرآن الكريم، فناداه كبيرهم:

يا شيخ إبراهيم: الأمير يدعوك.

فأجاب رحمه الله تعالى:حالاً.

وربما كانت تلك إجابته إذا دعاه واحد من عامة الناس، أو من أحبته، أو أهله، فما أجاب داعي الأمير إلا بها.

أخذ الشيخ عباءته، وتوجه إلى الأمير، وما إن وصل مجلسه حتى بادره بقوله:

يا شيخ إبراهيم: هل أنت الذي حكمت لمدالي، يعني (محمد علي)؟

فأجابه الشيخ في ثبات:هذا حكم الله الذي حكم به الشرع، وليس حكمي أنا.

فقال الأمير: أنت مُفْتَرٍ في حكمك.

فرد عليه الشيخ في قوة : الحكم بيدك فأرسله إلى من شئت .

قال الأمير في غضب : لن أرسله، ولن أنفذ حكمك .

فأجابه الشيخ في ثقة : بهذا تكون قد عصيت الله تعالى ، وما كانت معصيتك لشخصي أنا .

فصاح الأمير في غضب : لا تكثر الكلام ، وإلا سجنتك.

فأسرع إليه الشيخ بقوله :

إذن تكون قد ارتكبت معصية ثانية، وهي أنك تظلم من نصحك بالحق، وبهذا تكون من الأمراء الجائرين.

إنه الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ يرد على هذا الأمير الظالم بما يناسبه، ويحرص على أن يسمعه ما يليق به دون مبالاة لعله يفيق، ويحسن مواجهة شرع الله، وتطمئن نفسه إلى العدل الذي ارتضاه الله تعالى ، ليطمئن الضعيف، ويأمن على نفسه وأهله وماله ، ويركن القوي إلى الله تعالى ، ويرى نفسه محاسباً مسئولاً بين يدي الله .

ولكن النصيحة لم تجد إلى قلب هذا الظلوم طريقًا، والعظة لم تجد لها مستقرًّا في نفسه القاسية المستبدة.

قال الأمير في عصبية :اذهبوا به إلى السجن .

إنها قولة من ضلت حيلته، وغابت مروءته ، وأعتمت بالباطل رؤيته.

وهل يضير النظيف الوقور أن يذهبوا به إلى السجن ؟

لقد كان الشيخ رحمه الله تعالى ـ مهيبا ، يهابه من يراه ، ويقدره من يحضره، وإن لم يعرفه ، ولو كان اللقاء لأول مرة فكيف بمن عرفوه؟

لقد تهيب الجند تنفيذ أمر الأمير ، وتحيروا وكأنهم ساءلوا أنفسهم :

كيف ينفذون ما أمر به تجاه رجل له في القلوب مهابة، وبين الناس مكانة ؟

أنقذهم الشيخ مما هم فيه ، وقال : من يدلني على السجن ؟

واتجه إلى الأمير قائلا :

سأذهب إليه وحدي، لأنني أدرك تماما أنه لن ينفذ أمرك أحد ، وأنت بذلك تثير فتنة بيني وبين جنودك.

بيدك القوة ، ولكن لا تنس أن الله أقوى منك.

انتفض الشيخ قائما ، فتلقاه أحد الجنود ، ليمسك بيده فجذب يده منه ، وكان بيده مسبحة انفرط عقدها ، وتطايرت حباتها ، وقد جاء فيما قيل بعد ذلك أن بعض الحبات وجدت على مسافة تقارب أربعين مترا من المجلس.

يقول رحمه الله تعالى في هذه الحادثة :

هنا قدرة إلهية ـ لا شك ـ فقد كان يستطيع أن يأمر الجنود بالقبض عليَّ، ويكون ما يكون ، ولكن الله أدخل في قلبه الخوف والوهن والضعف، فكان أكثر ما ردده يا حسون :

اذهب معه ودله على السجن.

ولماذا السجن؟

لقد نصر أخاه مظلوما ، وحاول أن ينصر الآخر ، وهو ظالم امتثالا لأمر رسول الله ﷺ ، فأبى ، واستكبر.

أبحسن الاتباع يستحق السجن؟

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« انصرْ أخــاك ظالمًا أو مظلومًا ، قالــوا : ننصره مظلوما ، فكيف ننصره ظالمًا ؟ قال : « تأخذُ فوق يديه » ».[1]

أمــا حــاول الشيــخ إبراهيم ـ رحمه اللّه تعــالى ـ أن ينصر الأمير الظالم ؟

لكنه أخذته العزة بالإثم ، وظن أنه أكبر من هذا (غفر اللّه له).

أمــا الشيــخ إبراهيم فقــد أصاب حين عــدل ، وأحسن حين نصح.

---

(١) رواه البخاري

إذا قيـل : كانـت فترة من أصعـب فترات حياتـه [١]، أقول بإصرار: لا ، بل كانت فترة من أنضر وأجل وأبهى فترات حياته.

أمـا جاء عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: « إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر» ؟ [٢]

فالله تعالى حسيب من عـدل، وصرح بعدله في وجه سلطان ظالم مستبد .

وإذا قيـل : كان الامتحان قاسياً [٣] عجبت وقلت : ومتى كان الابتلاء سهلاً؟

والذيـن قالوا ما أشهـى الابتلاء ، واستعذبـوا عذابه ابتغاء مرضاتـه [٤] إنمـا طعموا مـذاق الرضـا ، واستشعـروا حلاوة الإيمان .

وقـد قال النبـي ﷺ : « إنَّ عِظَمَ الجزاءِ مَـعَ عِظَمِ البلاءِ ،

---

(١) إرشاد الحيران لمعرفة آي القرآن ، مرجع سابق ص (٢٠) .

(٢) رواه البخاري .

(٣) إرشاد الحيران ص (٢٠) .

(٤) أسأل الله أن يكون الشيخ منهم .

وإن اللَّه إذا أحـبَّ قَوْمًا ابتلاهُـمْ ، فمنْ رَضِيَ فلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ »[1].

فأعظـم أيـام الشيخ ـ فيمـا أرى ـ تلك الأيام التـي أودعها السجـن ، وأنضر ساعات عمره تلـك الساعات التي نصر فيها مظلوما ، وجاهد لينصر ظالما بنصحه إياه، لم يكد الشيخ يصل السجـن حتى كانت الأوامر قد سبقتـه بما يأمر به الظالمون في مثل هذه الأحوال ، لقد صدرت أوامر أميرٍ أبى النصح :

قللوا عنه الطعام والشراب.

ومتى عاش اللبيب الفطن ليأكل ويشرب ؟

إن روح التقـي الصبور أملك لـه، وعزيمته أمكن منه، وليس العاقل أبدا بمستعبد من أمعائه.

ولن ينالوا منه شيئا ، فالواثق بربه لا يعرف التراجع ، والموقن بسلامة ما هو عليه لا يضعف ولا يلين .

وإذا مل إيقاع الأذى ، وأعياه هو صبُّ العذاب هُرِعَ إلى طريق آخر.

ما هو؟

(١) رواه الترمذي .

لجأ إلى طريق الإغْرَاءِ والمساومات ؛ لعله يصل إلى ما يريد أو شيء منه.

وللطاغيــة أذناب يحتالــون ، ويساومون عنــه ، ولا يعرضون مطلقهم للحرج.

والمساومــات حــين نتأملهــا رخيــصة ، لا تستميــل غير عبد لدنيــاه ، مفــرط في كرامته ، يخدعــه بريق الذهــب والفضة ، ويغره قُرْبٌ من غشوم .

ارجع يا شيخ عما قلت ، ماذا يطلب منه الغافلون ؟

إنه ما قال غير حكم الله تعالى ، وما اعتصم إلا بشرعه فعَمَّ يرجعُ ؟

احكم للأمير تكــن من جلسائه ، والمقربين إليه، وتنل الخير (احكم للأمير) ما أسفه القائلين !

وما أشد سفه طالب الحكم لنفسه!

وإذا كان ما أرادوا فأين قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ (١).

---

(١) سورة النساء الآية ٥٨

أليس الأمير من الناس ؟ فلماذا يطلب أن يمتاز عنهم؟

(........ تكن من جلسائه والمقربين إليه)

وأين هو ـ إن فعل ذلك ـ من قوله جل شأنه :

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[1].

وما أقبح هذا التعقيب (.. وتنل الخير) !

أي خير ؟

إذا كان الأمير لم يوفق لخير نفسه ، فكيف ينيل مجالسه خيرا ؟

وما أظن الشيخ إلا قد وقر في قلبه قول الصادق المصدوق ﷺ .

« واعلَمْ أنَّ الأمةَ لو اجْتَمَعَتْ على أَنْ ينفعُوك بشيءٍ لم ينفعُوكَ إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك »[2].

كثرت النصائح ، ولا نصح فيها ، ولا نصوح تلزم إجابته والأخذ بنصحه .

---

(١) سورة هود الآية (١١٣)

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

السجين يضحك والأمير يعجب

عجبا لسجين يشرق وجهه بشرا، وتنير الابتسامة وجهه!

كان الشيخ رحمه الله تعالى - يضحك، فيتميز الأمير غيظا، ويحترق قلبه غضبا، وسأله الأمير مرة:

كيف تضحك، وأنت فيما أنت فيه من الإذلال؟

فكانت الإجابة أشد إيقادا لغيظه، وأعظم إثارة لغضبه.

فبم أجاب الشيخ إبراهيم؟

أضحك عجبا لحال أمير في مقامك، يحاول بالباطل ليدحض به الحق ...

وليت الشيخ وقف عند هذا الحد!

لقد استرسل الشيخ فزاد: طلبك هذا مستحيل، ولن تناله أبدا.

ماذا نتصور الأمير، وهو يسمع هذه الصواعق، ويرى هذا الإصرار، ويجد نفسه في مواجهة عزم لا يضعف، وإرادة لا تنتكس؟

مــاذا نتصــور الأمــير ، وقد نزل مــن عليائه ، وجعــل نفسه مصب تقريع عالم بحكم الله ، معتصم بشرعه ؟

أما كان الأولى به أن ينقاد لحكم الله ، ويذعن للحق ؟

محاولات يائسة

باءت محاولات الأمير وأعوانه بالفشل، ووجدوا أنفسهم أمام عزيمـة لا تنـال منها الضغوط، ولا يميل بهـا الإغراء، فأحسوا بالعجز ، وأقروا بالضعف أمام همة الشيخ ، واعتصامه بالحق، وجهاده بغير سلاح إلا شرع الله جلّ وعلا.

فماذا تراهم صانعين؟

لقد أمر الأمير بشده بالحبال على الخشب وهو واقف .

وهـل يتوقـع غـير ذلـك مـن ظلـوم مـزّق أحـشاءه إصرار خصمه؟

أليـس ذلك علامة عجز ، وأمارة هزيمة أمام قلب ثبت على الحق ، فزاده الله تعالى ثباتا ، وقوة ، ولسان أبى الباطل فألزمه الله تعالى إيمانا وحكمة ؟

ولكن أيستطيعون إمساك لسانه؟

هـذا محال؛ ولذا كانتْ قذائف لسان الشيخ تنخر في كبرياء

هذا الأمير ، وتنزله بقوة من عليائه ، ليراه الناس بلا أقنعة من الزور والظلم والسطوة والاستبداد.

لقد كان الشيخ يردد في قوة بصوت عال يملأ صداه الآفاق ، ويسمعه كل مارٍّ بالسجن ، أو قريب منه .

اعمل ما تريد.........

كم يساوي هذا الأمير في مواجهة تلك الكلمات الثلاث ؟

ثم يقسم الشيخ مؤكدا اعتصامه بالله تعالى، وإعلاء كلمته ، فيقول :

فوالله لن تجدني راجعًا عن الحكم بما أمر الله ....

وماذا للأمير عندك – أيها الشيخ ـ غفر الله تعالى لك ؟

استمع إليه وهو يواجه الطغيان فيقول :

أما أنت فجزاؤك عند الله ....

وتأمل (أنت) مجردة من كل إعلاء أو تفخيم ، يُلْقِي بها في وجه الأمير.

ويخوف ذلك الأمير المستبد ، ويذكره . لعله يفيق ، فيعلي صوته، ويستجمع قواه بقول الصادق المصدوق ﷺ :

« إن اللّٰه لَيُمْلِي للظالِمِ حتَّى إِذَا أخَذَهُ لم يُفْلِتْهُ »[1] ، ثم قرأ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾[2]

وكأن الأمير لم يسمع !

وأنى له أن يسمع ، وقد ملك الاستعلاء أمره، فرأى الناس جميعا دونه، وإن كانوا علماء ؟

أليس هو الأمير ؟

ولكن أين هو ممن قال رضي الله عنه :

« فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني» .[3]

---

(١) متفق عليه

(٢) سورة هود الآية (١٠٢) وهي تتمة الحديث الشريف .

(٣) ابن هشام . محمد بن عبد الملك بن هشام . سيرة النبي ﷺ ... بيروت دار الفكر ١٤٠١هـ ص(٣٤٠،٣٤١)

بقي الشيخ في السجن سبعة أيام ، وشاع الخبر في القرى والمدن القريبة ، فكان حديث الناس في بيوتهم ، ولقاءاتهم، وفاضتْ القلوب أسى وحسرة ، ولكن ماذا يفعلون ، والظلوم متكئ على سلطانه ، مغتر بسطوته ، يكمم الأفواه بجبروته ، ويصهر التطلع إلى العدل بشدته؟

كان للشيخ إبراهيم أخ شقيق هو (أحمد بن عبد الله الأنصاري) اخترق بقوة حصار الصمت، واقتحم سور الظلم، وأصر على إسماع كبار المسؤولين صوت شقيقه الداعية المفتي المحكم بما آتاه الله من علم ، وما منَّ به عليه من حكمة وفطنة ، وقد ألقى به صدقه في غيابة سجن الأمير.

لقد ذهب إلى (الخان) مع المدعي المغتصب حقه (محمد علي) ، ورفعا شكايتهما إليه ، ووصفا له ما نزل بالمحكم من قبَلِهِ (الشيخ إبراهيم الأنصاري) فاهتم بالأمر أيما اهتمام ، وأرسل على الفور سبعة من رجالات الدولة ، وكلفهم بالذهاب إلى (جفر مسلم) والنظر في الأمر، ووضع الحق في نصابه ،

والعــودة بإنفاذ العدل ، وتحكيم الشرع، غير أن خبر خروجهم شاع قبـل وصولهم ، فمــاذا يتوقع من أمير غـشوم، وقد أعلن سيده (الخان) موالاته ودولته للحق؟

بــادر بإطـلاق سراح الشيـخ إبراهيم الأنــصاري، وفكّر هو وحاشيته في قول يمسخون به وجه الحقيقة.

بالغ الأمير في إحسان استقبال رجالات الدولة ؛لعله ينجح في خداعهم، أو يصرفهم عـن العدل الذي جاؤوا لنصرته، ولكنه لم يفلح، لقد بدأ التحقيق، فتنصل من كل ما نسب إليه ، وأعلن أنــه لم يسجــن الشيخ إبراهيم إلا لأنه تطــاول عليه، وسبه وهو موقن تمام اليقين أن قوله مردود عليه ، فمتى عرف عن الشيخ إبراهيم شيء مما رماه به؟

لقـد انتقلـوا إلى موقع مجرى مــاء النخيل ، ونزلــوا عنده ، وجمعوا بين طرفي الشكوى ، فوجدوا الحق فيما حكم به الشيخ إبراهيــم الأنصاري المحكم ، فأنفذوا الحكـم الذي قضى به ، وردوا إلى الضعيف حقه.

وماذا فعل الشيخ عند إطلاق سراحه ، وعودته إلى داره ؟

لقـد نادى زوجته (أم عبد الله) وأمرها بجمع كل الأغراض

لفـراق هذه البلدة التي يهـان فيها النـاس ، ويعتـدى فيها على الحرمات، ويستهين حاكمها بشرع الله تعالى .

وأرسل صديقا له يدعى (أحمد ملاًّ حسن) إلى بندر مغوه ؛ ليبحث له عن سفينة ترحل به عن هذه البلاد.

وفي صبـاح اليوم الثاني أمـر بتحميل الأغـراض الخفيفة ، وأبقـى ما ثقل حملـه عند شقيقـه أحمد، وقـسَّم البعض على محبيـه ، وسار الركب إلى (مغوه)، وبـات الجميع بها انتظارا للرحيل.

أمـا رجالات الدولـة فقد توجهوا إلى (مغـوه) ولعلك تعجبُ إذا عرفـت من اصطحبوا معهم؛لقد أخذوا معهم العدو اللدود للحـق، والمصر سابقا علـى أن يكون الحكم له، ولو خالف شرع الله تعالى.

أخـذوا معهم (أمير جفـر مسلم) ، ليرجـو الشيخ السجين بالأمس العودة إلى أهله وعشيرته، والإقامة فيهم.

لقـي الجميع الشيـخ وأبلغوه الرغبة الشديـدة من (الخان) في عودتـه إلى (جفر مسلـم) وقد جـاؤوا رسلا عنه ، حاملين رغبتـه، ملحين في تفعيل هذه الرغبـة إلى واقع يسعد به الأهل

والعشيرة ، ويرضي الخان الذي تأكد له أن بقاء الشيخ كسب (للخان وللمسؤولين من بعده) وللمنطقة التي يعيش فيها الشيخ، فإمكانات الشيخ العلمية كثيرة، وخبراته في التحكيم واسعة، وجرأته في الحق ، وترفعه عن الهوى والمساومات سمات عز أن توجد عند غيره ، والمجتمع أشد ما يكون احتياجا إلى ذلك .

ولكن الشيخ- رحمه الله تعالى ـ رفض العودة ، وأصر على عدم الرجوع عما عزم عليه، وأخبر المفاوضين له أنه قد عاهد الله تعالى على السفر، ولا يستطيع أبدا أن ينقض عهدا قطعه مع الله تعالى على نفسه.

خاطبهم قائلا :بلغوا (الخان) خالص تحياتي ، وجزيل سلامي ، وأمام إصرار بالغ، ومحاولات مستميتة ، قال : أفهموه أنني سوف أحقق رجاءه عن قريب ؛ إكراما له؛ أما الآن فلا يمكنني نقض عهدي مع الله تعالى .

ووفاء للحق ، ثم تقديرا للخان الذي قدر الحق ، وأقر العمل بشرع الله تعالى كتب الشيخ إبراهيم بعد ذلك رسالة إلى (الخان) ، شكره فيها، ودعا له بالتوفيق والسداد في إقامته حكم الله، وتنفيذ شريعته جل شأنه .

ركب الشيخ إبراهيم وأهله وولده عبد الله سفينة أقلعت من بندر (مغوه) متجهة إلى (دبي)، وكان ذلك عام ١٣٤٤هـ

ورست على شاطئ (دبي) حيث نزل الشيخ ومن معه، فبقي بها ثلاثة أشهر، (والخان) يتابع الطلب، ويلح في العودة إلى فارس، فكان لا بد من إقناع الخان بما استخار الشيخ ربه عليه، وعزم على التزامه، ورأى فيه خيرا له، ولكل من يلم به.

رجع الشيخ إلى (لنجه) توقيراً للخان، وتقديراً لموقفه الكريم، وبقي بها أياماً يسيرة، وأظنه قد التقى الخان، وتحادثا فيما هو بصدده، واستطاع الشيخ إقناع الخان، ثم توجه إلى (جفر مسلم) فأوصل أهله إليها، وأبقاهم بها، ثم عاد إلى (مغوه) قاصداً الإبحار إلى الخور.

في الطريق إلى الخور

توجه الشيخ إبراهيم إلى (البحرين)، ومعه ابنه عبد الله ابن إبراهيم الأنصاري فقط، وعمره إذ ذاك تسع سنوات، وقد وصل إليها، وكان ذلك إبان حكم - المغفور له إن شاء الله - الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، وكان الشيخ إبراهيم على صلة وثيقة به، فسأل عنه، فعلم أنه يجلس في المحكمة بجوار سوق الخميس يستقبل الناس، فذهب إليه في اليوم الثاني من وصوله، وسلم عليه، وسأل الشيخ إبراهيم عن الفتى الذي رآه في صحبته، وقد سلم عليه الشيخ عيسى، وقبَّله وقال: هل هذا ولدك؟

قال الشيخ إبراهيم: نعم

فدعا له بالبركة، ولاطفه، وأوصى به والده.

ثم نرى ابن التاسعة، وقد بلغ الستين أو قاربها، وهو الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (خادم العلم) يصف الشيخ عيسى بن على آل خليفة وكأنه يراه أمامه فيقول:

أذكر أن الشيخ عيسى ـ رحمه الله ـ كان قصير القامة ، كثَّ اللحية ، أبيض اللون مشربا بحمرة ، عليه وقار ، يحمل العصا ، ويلبس البرقاء والشطفة وغترة الشال.

وكان معه ابنه حمد ـ رحمه الله – أطول رجل في آل خليفة، حنطي اللون ، يميل إلى السمرة ، مهيب في مظهره ، طيب في خلقه ، يحترم والده ، ويمشي خلفه.

أليس تعداد هذه الصفات في هذا السن المتأخر ذكاء؟

ويذكر لنا خادم العلم رحمه الله ـ حادثة وقعت له حين اصطحاب والده في البحرين فيقول : نزلت مع والدي الشيخ إبراهيم من السفينة إلى السوق ، وكان مزدحما ، وأذكر أنني لشدة الزحام انقطعت عن الوالد ، وضعت منه، وبحثت عنه فلم أجده ، فرجعت إلى طريقة يسيرة ، وهي أن أذهب إلى السفينة ؛ ليكون فيها الملتقى، وفعلا رجعت إليها ، وكانت هذه السفينة ، ملكا لأحد القطريين من الخور ، فذهبت إلى السفينة، وتلقاني فيها أحد القطريين فأخذ بيدي ، ووجدني متكدرا ، تكاد تخنقني العبرات ، وسألني عما بي ، فأخبرته أنني تُهْتُ ، وانقطعت عن الوالد، فأجابني : الحمد لله أن وصلت السفينة،

فأخبرتـه أنني متكدر مـن أجل الوالد ، فقـال، لي : بارك الله فيك ، هذا الوالد قد وصل .

وإذا بالوالد ـ رحمـه الله تعالى- فمـا إن رآني حتى ضحك ضحكة الفرح، ونزل إلى السفينة ، وقبَّلني ، وفي المساء سافرنا إلى (الخور) بنفس السفينة.

وصوله إلى الخور واستقراره بها

عاد الشيخ إبراهيم إلى (الخور) عام ١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٥م ومعه ولده (عبد الله بن إبراهيم الأنصاري) في التاسعة من عمره في ذلك الحين، رجع إليها، بعد غياب بلغ اثني عشر عاما، أو زاد قليلا، فاستقبلته الخور بذكرياته الغالية، واحتفى به أهلها، ورحبوا بقدومه، ونزل الشيخ وولده عبد الله في مجلس الوجيه (صالح بن أحمد أبو مطر) زوج ابنته (شيخة) وأقاما به ثلاثة أشهر وشاء الله تعالى أن يجعل للشيخ صهرا ثانيا بالخور فتزوج بكريمة فاضلة هي والدة محمد عثمان، وانتقل - رحمه الله تعالى -إلى البيت الذي تسكنه، ثم اشترى هذا البيت، وصار ملكا له.

وواصل الشيخ إبراهيم نشاطه القرآني، وعطاءه العلمي منذ وصوله، وأَمَّ الناس ووعظهم، وشاركهم حياتهم بفكره، وحسن توجيهه، وسديد رأيه .

ولايته القضاء

أقام الشيخ بالخور ، وولي القضاء بها ، وكانت الخور آنذاك بمثابة العاصمة الثانية لقطر بعد الدوحة، وكانت تتبعها قرى وبلدان عديدة عامرة بساكنيها، والمقيمين بها من مختلف القبائل .

عمل ـ رحمه الله تعالى ـ قاضيا شرعيا حسبة دون مقابل مادي، فلم يكن له راتب من الدولة ، وإنما كان عمله تطوعا منه.

كانت القضايا التي تحال إليه من حاكم قطر الشيخ قاسم ابن ثاني ، وبعده الشيخ عبد الله بن قاسم ، ثم الشيخ حمد بن عبد الله رحمهم الله تعالى جميعا

فيفصل فيها ، فكثيرا ، وكثيرا ما كان يصدر عنه ما لا يتصور وقوعه من قاض، إنه حريص على أن يكون مع الحكم إصلاح بين المتخاصمين ، حتى يخرجهما، وقد زالت الخصومة ، ونسي الخلاف .

وأنى يكون ذلك والمدان عاجز عن سداد ما حكم عليه به من مال؟

فكان –رحمه الله تعالى- يسد د عن المدان ، أو يساعد في السداد بقدر حاجته، وذلك من مال الشيخ الخاص رحمه الله تعالى .

أي قاضٍ يحمِّل نفسه هذا العبء؟

ولكن النفس التي عودت الخير، وعرفت بالإيثار تأبى أن ترى الناس ، وقد ضاع منهم الحب، وافتقدوا المودة ، وتمكنت منهم العداوة .

وإذا تابعت حياة الشيخ طالعتك عجائب كثيرة .

لقد كان بيته مثابة للناس في الخور من قطريين أو مقيمين أو مسافرين من الخور أو قادمين من سفر، ومجلسه دائما عامر يؤمه القوم ضيوفا وزائرين ومسلمين، فتؤنسهم بشاشته، ويسعدهم عذب حديثه، وتجمعهم رحابة صدره، وقد كان لوضعه الاجتماعي كقاض لجميع بلاد شبه الجزيرة التي تلي الخور شمالا تكاليف باهظة، فقصده كثيرون، والنازلون بقضاياهم من خارج الخور كثيرون أيضا ، ولا مأوى لأكثرهم، وهو بطبيعته مضياف كريم، ولا أقول كما جاء في التعريف به في مطلع كتابه (إرشاد الحيران) :

وقد استدعاه هذا الوضع الاجتماعي إلى إنفاق زائد عن الحد ، فذلك الوضع الاجتماعي لا يتحول بالبخيل مغلول اليدين من الشح إلى الجود والكرم؛ فما بالطبع لا يتخلف ، وإنما فُطِرَ الشيخ - والله حسيبه - على الكرم فكان فيه طبعا لا يفارقه وسلوكا يلازمه ، وإن كلفه الاستدانة فقد يأتيه الضيف

أو الضيـوف وليـس لديه ما يعينـه على أداء واجـب الضيافة، فيستديـن، وربما رهن بعض أمتعتـه ، أو حلي زوجته؛ في سبيل ضيف قادم ربما يزوره لأول مرة.

وليـس هذا بعجيـب في المسلمين عامـة، وفي الأنصار الذين آووا ونصروا خاصة:

ألم يقل الله جل شأنه:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(١)

بـل أعجـب العجب أنه في كثـير من الأحيان كان يُـرَى قلقًا بعـد صلاة المغـرب، مما يجعل رائيه يذهب بفكـره بعيدا ظانًّا أن الشيخ مهموم ، أو حَلَّ به أمر أنزل به الضيق والقلق، وجعله في حـيرة ، والواقع بعيد عن ذلـك تماما ؛ إن أهل الشيخ أعدوا العـشاء ، وفرغوا منـه، وأُعِدَّ للتناول غير أن الشيـخ يُؤْنِسُهُ أن يشاركه في تناول الطعام ضيف ، وسر قلقه أنه لم يطرق الباب طـارق ، ولم ينعش أجواء المجلس نسيم ضيف ، مما يدعوه إلى تأخـير العَـشاء إلى ما بعـد صلاة العِشاء ، فلعـل الله يرزقهم بضيف حتى يهنؤوا بما يسَّرَ الله تعالى لهم من زاد.

---

(١) سورة الحشر الآية ٩

وقديما قال الشاعر العربي مخاطبا زوجته:

إذا ما صنعْتِ الزادَ فالتمسِي له   أكيلاً فإنِّي لسْتُ آكِلَه وَحْدِي[1]

ولكن شتان بين هذا الشاعر العربي صاحب هذا البيت وبين ما نحن في صدده؛ فنحن لا نشك في أن كلاًّ من الشاعر صاحب البيت كريم، والشيخ إبراهيم كريم ، غير أن محركات الكرم ودوافعه مختلفة تماما، فالشاعر كريم تفاخرًا وتكاثرًا وحرصًا على أن يشتهر ويعرف في العرب بجوده ، ويتغنى الركبان بكرمه، أما الشيخ– ولا أزكيه على الله تعالى ـ فمحرك الجود فطرة زكاها الإيمان ، وأصَّلَهَا اليقين الثابت يقول مسك ختام النبوة :

« ومَنْ كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليُكْرِمْ ضَيْفَهُ»[2]

فإكرام الضيف عند المؤمن استجابة كريمة لربٍّ كريم، دعانا إلى البرّ، وحذرنا من الشح، وهو التأسّي الحسن برسول الله ﷺ وهو أمارة الإيمان، ودليل الصدق مع الله تعالى ورسوله ﷺ .

(١) إرشاد الحيران (مرجع سابق ص٦٨)

(٢) رواه البخاري ومسلم

وقـد مَنَّ الله تعـالى عليه بذاكرة واعية، وفـراسة خارقة في معرفة الرجـال، فربما زاره الزائر لأول مرة وغاب عنه شهورا أو سنـين ثم عـاد إليه، فإذا هو ذاكر لـه ، يقص عليه ذكريات هذه الزورة عادًّا له شواهدها ، مما يدهش الزائر، ويدعوه إلى استجمـاع ذاكرته ومحاولة استحضار هذه الزيارة والشيخ واع ذاكر رغم كثرة الوافدين عليه ، وقد عاش حياته كلها على هذا النسق العجيب ، مجلسه مأوى لكل قادم ، وعلمه معروض متاح لـكل راغب، ورأيـه مبسوط لـكل سائل، وماله يؤثـر به غيره ، ولا يبخل به على فقير ، أو مستجير، أو عابر سبيل.

لم يخلـف لورثتـه مـالا يتوارثونـه ، ولا عقارا يتقاسمونـه ، وإنمـا خلف لهم سيرة طيبة ، وذكريـات عزيزة كريمة عطرت الأجـواء ، وطـوت الآفاق والفلـوات ، وعمت الأمـصار في شبه الجزيـرة العربية ، وتذاكرها أهـل البادية والحضر ، فوقروه ، واحترمـوه ، وقـدروا رأيـه ، ونفذوا عـن رضا واقتنـاع قراره ، وسلموا له فيما يعرض عليه للقضاء .

وخَلَّفَ في ذلك قصصًا وحكايات تناقلتها أجيال ، وحفلتْ بها مجالس ، فكانت خير ذخر لخلفه وأعظم وأكبر رصيد لذريته .

تواصله مع العلماء في غير قطر

كانت للشيخ صلات وثيقة بالعلماء في منطقة الخليج ، والساحل الجنوبي في حضرموت ، وعمان ، واليمن ، وامتدت تلك الصلات إلى الأحساء ومكة المكرمة، ثم إلى علماء مصر ، وغيرهم.

كثيرا ما كانت تأتيه القضايا المعقدة ، فيراجعها، ويجمع أطراف القضية ، ويعي تماما موقف الفقه الإسلامي منها، ومع ذلك لا يبرم رأيا ، ولا يصدر حكما إلا بعد النظر في مراجعه، والتأكد من عدالة الحكم ، وموافقته التامة لما أقره الشرع ، وأخذ به الفقهاء ، وكم من أحكام أصدرها في قضايا أحيلت إليه ، ووصل حكمه إلى علماء مكة فأقروه ، وإلى علماء الأزهر الشريف فباركوه ، ورأى الجميع فيما يقول ، أو يصدر من حكم ، أو ما ينقل عنه من فتاوى حجة بالغة مدعومة بالدليل موثقة بذكر مراجعها، وكانت له مراسلات كثيرة مع العلماء في عصره ، في الأمصار المختلفة مما جعل له مكانة علمية مرموقة في عصره وما أظنها كانت إلا في العلم .

أهمية علم الفلك

الفلك علم له أصوله وثوابته وأسسه ومناهجه وأهدافه ومقاصده، وقد عاش هذا العلم في خدمة الإسلام، وكان خير عون في تيسير العبادات ، وتحديد مواقيت الفرائض والطاعات، وقد أضفى عليه الدين الإسلامي وقارا، وأفسح له مجالا، وكانت له آثاره في إثبات الحقائق التي تقوم عليها حياة الخلق عامة ، وحياتنا الدينية خاصة بما فيها من عبادات ، وما ميزها الله تعالى به من مواسم للقربات فعلم الوقت من العلوم الشرعية، بل من شروط صحة العبادة ، حتى قال عنه - أي عن علم الفلك -بعض علمائنا إنه من الفروض العينية ، والبعض قال : إنه من فروض الكفاية، وذلك لما يترتب عليه من معرفة عين القبلة، وأوقات الصلوات المفروضات [1] ومع ذلك يأخذ كل مسلم منه ما تصح به عبادته.

وفي الوقت الذي اهتم المسلمون بذلك العلم ، وكتبوا فيه ، وأنزلوه وعلماءه المنزلة الكريمة المناسبة ـ بعد أن جردوه من

(١) عبد الله بن إبراهيم محمد السليم (تقويم الأوقات) عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م الرياض المطابع الأهلية للأوفست ص١٨.

التنجيم والخرافات ـ كان التفكير فيه جريمة يعاقب عليها صاحبها في أوربا بالموت[1]

(وشتان بين هذا العلم وبين التنجيم الذي يرتكز على الاعتقاد بأن مواقع النجوم والكواكب تؤثر في مجريات الأحداث على الأرض، وقد رفضه الفلكيون المسلمون، واعتبره العلماء زيفاً وافتراءً وضلالاً وانحرافاً، بل لم يكتف العلماء برفض التنجيم فقط، ولكنهم قاوموه باعتباره خرافة يبرأ منها العقل، ويرفضها الإيمان، وتعوق التقدم العلمي.

والفلك علم وثيق الصلة بالإيمان يُعَرِّفُ المؤمن بربه، ويوقفه على الكثير من دلائل عظمته جل وعلا، ومعالم وحدانيته، وقد ألمحت إلى هذا العلم آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل، منها قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾[2]

فدورة القمر هي التي نبهت الإنسان إلى أقسام السنة

---

(١) عبد الكريم محمد نصر (بحوث في التقاويم) ط (١) عام ١٤١١هـ / ١٩٩٠م دمشق (دار البشائر للطباعة والنشر) ص(٥، ٦).

(٢) سورة يونس الآية ٥

المعروفة بالشهور، وعرف الإنسان بحركة الشمس الفصول الأربعة.وقد كان للمسلمين ريادة هذا العلم ، وازدهاره ، وقيامه علـى أسس علمية وترك علماء الإسلام أعظم المآثر التي فاقوا بها ، وتتلمذ علـى أيديهم من جاء بعدهم ، وأقروا بسبقهم ، وسمو عطائهم ، ولنسأل والدنيا تشهد ، والواقع يؤكد:

-أليس العلماء المسلمون هم الذين قاسوا زاوية الكسوف والخسوف ؟

- إلى من يرجع تقدير حجم الأرض ؟

أنافس في هذا المجال غير علمائنا؟

تصحيح طول السنة الشمسية ، ألم يكن البتاني هو الذي حدده فأجاد وأسمع الدنيا كلها أن طول السنة الشمسية (٣٦٥) يوما ، و(٥) ساعات ، و(٤٦) دقيقة ، و(٣٦) ثانية ؟[١]

لمن يعود الفضل في عمل الأزياج (الجداول الفلكية) ؟[٢]

وغير ذلك من الآثار التي تركها علماء الفلك المسلمون .

ونعود فنسال:

ما حظ الشيخ إبراهيم الأنصاري من هذا العلم؟

وكيف تسنتّ له معرفته؟

---

(١) د/ محمد بن عبد الله الأنصاري (دليل التقويم الهجري والميلادي) قطر (الدوحة) من مطبوعات دار التقويم (مطابع الدوحة الحديثة). المقدمة م.ج ص (٥).

(٢) المرجع السابق، ص(٥).

الشيخ والفلك

تدارسنا ما تيسر لنا من حياة الشيخ - رحمه الله تعالى - قرآنيا وعلميا ، وتقلبه بين مولده ومنشئه (جفرمسلم) و (جناح) بلد الحفظ والمحفظين وختمه القرآن الكريم بها ، وتعلمه اللغة العربية قراءة وكتابة بها، ثم انتهاء المطاف إلى (لنجه) وحب سلطان العلماء له ، واحتفائه به ، وحسن توجيهه له ، ثم إجازته له ، وإحالة حالات تحكيم منطقة (جفر مسلم) إليه ، ولم يصرح لنا مصدر ، أو تحدثنا مرحلة من مراحل حياته العلمية عن دراسته الفلك ، أو تتلمذه على عالم من علمائه ، والواقع يؤكد أنه فلكي بارع عملا وتراثا ، فهل كانت براعته في الفلك ثمرة دراسة لم يحدثنا بها ، أو حدَّث بها ، وعرفت ، ولم يتح لها أن تنقل إلينا كتابة أو شفويا ؟

أم أن نبوغه الفلكي كان أثرا من آثار عبقريته الدراسية مستقلا بنفسه منفردا بمراجعه ، مستغنيا بفطنته وذكائه؟

هل كان علم الفلك واحدا من العلوم التي تلقاها من شيخه

(سلطان العلماء)، وهو كما تقول المراجع عنه بحر في العلم لا ساحل له ؟

كلها أسئلة لم نصل إلى إجابة سؤال واحد منها .

غير أن أمرا ذا أهمية بالغة يستوقف الباحث، وهو أن تفوقه الفلكي لم يبرز ويشتهر إلا بعد رجوعه إلى (الخور) عام -(١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٥م)، ولم يشر فيما سبق إلى شيء من علاقته بالفلك حتى الوالد الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (خادم العلم) في مطلع كتاب (إرشاد الحيران) وفي حديثه عن والده الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن علي الأنصاري لم يتطرق إلى الحديث عنه في مجال الفلك.

وأيا ما كان الأمر، فالشيخ إبراهيم ـ رحمه الله تعالى -فلكي ماهر أكد ذلك واقعه وتراثه وشهرته بذلك في شبه الجزيرة العربية، وأخذ (خادم العلم) ولده الشيخ عبد الله عنه هذا العلم، وبرع فيه، وشهِدَ ببراعته علماء (الأحساء)، وهو يدرس على أيديهم.

أقـام الشيخ إبراهيم رحمـه الله تعالى (بقطر)ولم يكن لها آنـذاك تقويم تعرف بـه ، ويعرف بها، وإنما كانـت تعتمد على تقـويم (العيـوني) شُغِل الشيخ بذلك كثيرا ومـلأ فكره البحث عن طريق يخرج به قطر من التبعية ، ولو كان ذلك في التقويم ، فماذا هو صانع؟

إن الطباعـة لم تدخل قطـر، وساحة هذا العلـم بها آنذاك فارغـة، ومع ذلك فهو يصر علـى أن يكون لها تقويمها الخاص الذي تعـرف به بدايات الأشهر ومـواسم العبادات والمناسبات ومواقيت الصلاة التي لا غنى عنها.

لا بد أن يُفَعِّلَ الشيخ إمكاناته المادية المحدودة لإبراز فكرته ، وتحقيـق أمنيتـه ، بل أمنية قطر الغاليـة الأم والوطن بما لديه من خبرة في علم الفلك.

لقد خط التقويم بيده ، والمعلوم أن تدوين التقويم لا يتم إلا بعد دراسته وإرساء معالمه وتحديد مواقيته، ثم يكون التدوين .

خطه هو بيده أولا ، واستعان بمن يثق فيهم ممن حسن خطه ، وتوافـرت قدراته الكتابية ؛ لينسخوا هـذا التقويم ، ويتيحوا له فرصة الظهور ، والعمل به وخاصة في المساجد من هؤلآء المغفور لهم إن شاء الله:

١-السيد/ راشد بن علي بن محري المهندي، كاتبه الخاص وأمـين سره فيمـا يصـدره من أحـكام قضائيـة وفتاوى شرعية تحتاج إلى إثبات كتابي.

٢-السيـد محمـود العـوضي (رجـل أعمال بالخـور) وكان مشهورا بجمال خطه وبراعته الكتابية .

٣-السيـد إبراهيـم (إمام جامع الخـور وخطيبه، والمدرس بمـدرسة الشيخ إبراهيم الأنـصاري) ، وكان مشهوداً له أيضا بحسن خطه ، وجودة كتابته.

وكان التقـويم يودع الجامع ، وغيره مـن المساجد، وعلى من حاز نسخة منـه كتابة نُسَخٍ منه، وإهداؤها لآخرين ، أومساجد لم تتوفر لها نسخ.

وكانت بداية هـذا العمل التقويمي قبل وفـاة الشيخ -رحمه الله تعالى- بحوالي سبع سنوات تقريبا .

لم يصلنـا ولـو نسخة واحدة من تقويمـه المخطوط، والذين أوتـوا معرفة بقيمة التراث و أهميته يعلمـون كم تساوي نسخة واحدة مخطوطة لو قدر لنا أن نظفر بذلك !

وليـس هذا بغريـب أمام طوفان الضياع الـذي نزل بتراثه ، وربما كان من أعظم الشواهد على سبقه ، وخطه تقويما قطريا بيده أن ولده الشيخ عبد الله (خادم العلم) خلفه في تلك السنة الرشيـدة ، وخط هو أيضا التقـويم بيده ، حتى دخلت الطباعة قطر ، فكان أول تقويم مطبوع عام ١٣٧٧هـ الموافق١٩٥٧م وكان حاكم قطر آنذاك الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني ـ رحمه الله -وكان تقويماً دفترياً .

أمـا تلك الفريدة المكنونة التـي شاء الله تعالى أن نظفر بها مع النزر اليسير في حجمه العظيم في قدره .

منظومـة في معرفـة أهلة الشهور في أيـام الأسبوع بمقتضى الدهـور والأعوام وفيها الحساب الهجري من هجرة المصطفى ﷺ حتى آخر الدهر.

من حيث النظم ناظمها هو: الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن علي الأنصاري رحمه الله تعالى.

البحر العروضي (الرجز) ليسره، وتميز إيقاعه، وقد سار على التصريع في الأبيات كلها، فاتفق روي الشطرين في كل بيت وتنوعت القافية فلكل بيت قافيته، وقد بلغ عدد أبياتها (٩٠) فقط تسعين بيتا، وهي تدل القارئ بيسر تام وسهولة واضحة على الطريقة التي يستطيع بها معرفة مطلع العام الهجري أيّ بداية المحرم من أيِّ عام هجري يفترضه، وبالتالي يحدد بداية كل شهر هجري ويومي عيد الفطر وعيد الأضحى، ويوم الوقوف بعرفة في ذلك العام، والطريقة متاحة لكل راغب وها هي المنظومة، وقد توجت بأبياتٍ لأبي عمر:

أقولُ مِن بَعد افتِتاح القَوْلِ ... بِحمدِ ذِي الطولِ الشَّدِيدِ الحَوْلِ
وبعدَ ذَا فأفضلُ الصَّلاةِ ... على النّبِي في سائرِ الأوقَاتِ
محمدٍ خيرِ الأنامِ العَاقبِ ... وآلِه الغرِّ ذَوي المناقِبِ
وصحبِهِ الأماجِدِ الأفضالِ ... ما اعتَقَبَ الأشهرُ بِالهِلالِ
وبعد فاعلَم يا أخَا الكِرامِ ... عن مبدأ الأشهرِ بالأيّامِ

إذا أَرَدْتَ ذاكَ بالكَمالِ | ومَـدْخَـلِ الأيــام للهِلالِ
احْسِبْ هُدِيتَ من سنيِّ الهجرةِ | إلى التي تريدُها مِنْ سَنَة
وَاطـرحْ ثمانياً ثَمانياً كَذَا | وَانْظُرْ لِما يَزيدُ حَتْماً فَخُذَا

❁ ❁ ❁

أمـا إِذَا لَم يَكُ شيءٌ أَبَداً | دخـولُ عامنَا بجُمْعَةٍ بَدَا
وبِالأَحدْ صَفَرْ بدَا فأدخِلَهْ | ربيـعٌ الأَوَّلُ إثْـنَـيْنٍ لَـهْ
رَبيعُنـا الـثّاني بِـأَرْبِـعَـاءِ | أولى الجُمَادَى بالخَمِيس جَائِي
والسَّبتُ بدءٌ لجُمَادَى الثَّاني | بالأحَدِ الأصمِّ يا إخواني
شَعْبانُنا فَبِالثُّلاثَاءِ اعْتَمِدْ | بِالأَرْبِعَا صُمْ شَهْرَ بِرٍّ واعتَقِدْ
عَيِّد بيوم الجُمعَةِ الغَرّاءِ | وَاعزِم بِصَوْم الصَّبرِ والدُّعاءِ
وَاصْعَدْ إلى ذِي القَعْدَةِ الْحَرامِ | فَابدَأْ بيَوم السَّبتِ با هْتِمَام
وَأَوَّلُ الحَج على القَولِ الصَّحيحِ | في يَومِ الاثْنَيْنِ بذا تصريحي
ثُمَّ تأهَبْ لِلوقُوفِ الواجِبِ | بَيـوم جَـمْـع مَـعَ كُـلِّ تائِبِ
وبالثلاثاء الوُقوفُ تَجتَمِعْ | مَـعَ المُلَبّـينَ وكُـلٌّ مسْتَمِعْ
واضْرَعْ وسِر للمشْعَرِ الحرام | بَعْد غروبِ الشمسِ بالوئَام
وإن يكنْ لَم يَبْقَ غَيْرُ وَاحِدِ | خُذ أشهُرَ العام ولا تعانِدِ
محـرمُ الإثْـنَـيْنِ باحْتِفَاءِ | كَـذَا صَفَرْ في يَوْم أَرْبعَاءِ
وبالخميس قُلْ رَبيعُ المَولِدِ | والسبَتِ للثاني بلاَ تَـرَدُّدِ

والأَحَدُ الأُولَى مِنَ الجُمّدَانِ كَذَا الثُّلاثَا لجُمَادَى الثاني
وَالأَرْبعَا مِنْ رَجَبِ الحرام شَعبانُنَا لسيّد الأيَّام
صُمْ يومَ سَبْتٍ ثُمّ بالإثنَيْنَ عَيِّدْ بِلاَ عُذْرٍ بغَيْرِ مَيْنَ
وبالثُّلاثا هَلِّلَنْ ذا القعدةِ يومَ الخميسِ شَهرَ حَجٍّ فَاثْبتِ
وَيَومَ جمعةٍ فَقِفْ بِالعَرَفهْ لِكي تَنَالَ الأَجْرَ يَا ذَا المَعرِفَهْ

❁ ❁ ❁

وَإنْ بَقِي اثْنَانِ بِلاَ كلاَم فالجمعَةُ لِلْمَحْرَم الحرام
وَبالأحَدْ فَاحْكُمْ هِلالَ الصَّفَرِ إثْنَيْنِ قُل مولدُ خيرِ البشرِ
والأربعاءُ لِربيعِ الثَّاني وتلُوهُ أُولَى مِنَ الجُمّدَانِ
وَيوْمَ سَبْتٍ لِجُمَادَى الآخِرِ بالأحدِ الأصَمِّ قُلْ وبادِرِ
ثم الثُّلاثَا شهرُ شعبانَ الجَلِي وَالأَرْبعَا شَهْرُ الصِّيام الأكمَلِ
وَالْجُمُعَهْ لِيَوم عيدِ الفطرِ ذو القَعْدَةِ السَّبْتُ بِغَيْرِ نُكُرِ
ويومُ الاثنَيْنِ هلالُ الحَجّ يومُ الثُّلاثَا قِفْ وثَجْ وَعَجِّ

❁ ❁ ❁

وَإن بقِي الثَّلاثُ فالثُّلاثَا مَدْخَلُ عَامِنَا وَلاَ إعْلاَثَا
وَبالخميسِ قُل هلالُ الصَّفَرِ وتلوُهُ بدءُ الربيعِ الأنورِ
ثَاني الرَّبيعِ قُلْ لِيَوْم الأَحَدِ وَتِلوُهُ لِتلوِهِ لا تَرْدُدِ
والأَربعاءُ لجُمَادَى الثَّاني وَبالْخَميسِ رَجَبُ الأمانِ

شَعْبانُنا سَبْتٌ بِلاَ نُكُورِ ... وتِلْوُهُ لِسَيِّدِ الشُّهُورِ

وشَهرُ حجّ الأكبَرِ السَّعيْدِ ... هلالُهُ بالجُمْعَةِ المَجيدِ

قِفْ يَومَ سَبْتٍ مثلَ هذَا العَامِ ... ثمَّ انصَرِفْ للمَشْعَرِ الحرامِ

❁ ❁ ❁

وَإنْ بقي أَرْبَعةٌ مَن العَدَدْ ... مُحرَّمٌ يَهِلُّ لَيْلَةَ الأَحَدْ

وَبالثُّلاثا صَفَرٌ بِلاَ مِرَا ... بالأربعاءِ ابْدَأ ربيعاً أَنْوَرَا

ثاني رَبِيعَينِ بِجُمْعَةٍ كَذَا ... أُولَى الجُمادَيْنِ بسَبْتٍ فَخُذَا

أدخِلْ بِالاثْنَيْنِ جُمادَى الآخِرَ ... وتِلْوُهُ لِرجَبٍ فَبَادِرَا

وَشَهْرُ شَعْبانَ فَبالْخَميسِ ... صُمْ يَومَ جُمعةٍ بِلاَ تَدْلِيسِ

وَبِالأحَدْ فَهَلِّلنْ شَوّالاَ ... ذُو القَعْدَةِ الإثْنَيْنِ خُذْ كَمَالاَ

والأَرْبِعَا لِشَهرِ حجّ الأكْبَرِ ... إن اسْتَطَعْتَ قُمْ وسِرْ وَبادِرِ

يَومَ الخميسِ قِفْ بِلاَ مِراءِ ... فِي عَرَفَهْ أكثِرْ مِنَ الدُّعاءِ

❁ ❁ ❁

وَالخَمْسُ بالخميسِ عامُنا دخَلْ ... وَجُمَعَةٌ ذَا صَفَرٌ بلا جَدَلْ

وَبِالأَحَدْ شَهْرُ ربيعِ الأوّلِ ... ثمَّ الثُّلاثَا تِلوُهُ خُذْ وَاقبَلِ

أُولى الجُمادَيْنِ بِالأَرْبِعَاءِ ... ثانيهما بالجُمْعَةِ الغَراءِ

سَبْتُ الأصَمُّ ثمّ بِالإِثنَيْنِ ... شعبانُ قلْ هلَّ بِغَيْرِ مَيْنِ

وبالثُّلاثَا فِي حِمَى الصِّيَامِ ... شوالُ بالْخَمِيسِ فِي ذِا الْعَامِ

ذو القَعْدَة الحرامُ قلْ بالجُمُعَة وبالأَحَدْ هِلالُ شَهْرِ القِبْلَة
ويومَ الاِثْنَيْنِ فَقِفْ بِالمَوقِفِ إنْ كُنْتَ لم تَدْرِ بِهذا فَاعْرِفِ

❁ ❁ ❁

وَإنْ بقِي سِتٌّ دخولُ العامِ يومَ الثُّلاثا فاسْتمِعْ نِظامِي
قُلْ صَفَرٌ يَهِلُّ بِالخميسِ بِجُمْعَةٍ لِلأَوَّلِ النَّفِيسِ
وَبالأَحَدْ هَلَّ رَبيعُ الثّاني وَتِلوُهُ الأُولَى مِن الجُمْدانِ
بالأربعا ثاني الجُمادَى هَلّلِ خَمِيسُنَا مِنْ رَجبَ المُفَضَّلِ
شعبانُ يومَ السَّبتِ خُذْ كلامِي وبالأَحَدْ فَالأَمْرُ بالصِّيام
وَبالثُّلاثَا شَهْرُ عيْدِ الفِطْرِ وَالأَربِعَا لِقَعْدةٍ قُلْ أَدْرِي
وَشَهرُ حَجِّنا بِجُمْعةٍ أَهَلْ هَذِي شهورُ عامِنَا قَدِ اكْتَمَلْ
وَيومَ سَبتٍ قُمْ وَقِفْ بِالمَوقِفِ لِتُدرِكَ الخَيرَ هُناكَ فَاعْرِفِ

❁ ❁ ❁

وَإنْ بَقِي سَبْعٌ مِنَ الأَعْوامِ فَالسَّبتُ لِلمُحرَّمِ الحَرَامِ
وصفرُ الخيرِ بِالاِثْنَيْنِ دَخَلْ وبالثُّلاثَا مَوْلِدُ الهَادِي أَهَلْ
كذا الخَمِيسُ لِرَبيعِ الثّاني جُمعَتُنا لأَوَّلِ الجُمْدَانِ
ثُمّ جمادَى الثّانِ يومَ الأَحَدِ فِي رَجَبُ الاِثْنَيْنِ خُذْ لا تَرْدُدِ
شعبانُ يَومَ الأَرْبِعَا السَّلاَمِ يومُ الخَميسِ هلّلَنْ صيامِي
سَبْتٌ لشوّالٍ هِلالُ الفِطرِ ذو قَعْدَةٍ يَوْمَ الأحَدْ قُلْ أَدْرِي

يومَ الثَّلاثَا شَهْرُ حَجٍّ فَاجْزِم   هذِي شُهُورُ العامِ خُذْهَا وَاسْلَم
والأربعَا قِفْ ثُمَّ لُذْ بِاللّٰهِ   واسْأَلْ سَبِيلَ السَّيِدِ الأَوَّاهِ

❀ ❀ ❀

والأربعا إذا بَقِي ثمانِيَهْ   دخولُ عامِنا فَخُذْ علانيَهْ
وَجُمْعَةٌ لِصَفَرٍ بِلاَ مِرَا   والسَّبْتَ خُذْ رَبِيعَنَا المنَوِّرَا
لاثْنَيْنِ قُلْ هلَّ ربيعُ الثَّاني   أُولَى الجُمَادَى بالثُّلاثَا بَانِي
ثُمّ جُمادَى الثّانِ بِالخميسِ   وجُمُعَةٌ لِرجَبَ النَّفِيسِ
وبالأَحَدْ شَعبانُنَا قدْ هَلا   ثمَّ بِالاِثنَيْنِ الصّيامُ حلا
بالأَرْبِعَا شَوَّالُ ذُو الإكرَام   خميسُنَا للقعدِة الحرام
وَشَهْرُ حَجٍ يَوْمَ سَبْتٍ قَدْ دَخَلْ   تمَّ حِسَابُ الدَّهْرِ حَتْماً وَكَمَلْ
وَبِالأَحَدْ وُقوفُنَا فِي عَرفَهْ   هَذَا حِسَابُ الدَّهْرِ يا ذَا المَعْرِفَهْ

❀ ❀ ❀

قَدْ تمّ نظمُ جَدْوَلِ الشُّهُورِ   مِنْ يومِنَا هَذَا إِلَى النُّشُورِ
لأيِّ شَهْرٍ تَبْتَغِي دِرَاهُ   مِنْ أيِّ عَامٍ خُذْ كَمَا تَهْوَاهُ
خُذْهُ كذا بِمُقتَضَى الحِسابِ   وَربُّنَا أعلَمُ بِالصَّوابِ
خُذْهُ هُدِيتَ واقتفِي نظامِي   تَفُزْ بمَا أمّلتَ فِي السّلام
ثُمَّ اسْأَلِ الغُفْرانَ مِنْ كريم   لِعبْدِهِ المِسْكِين إبراهِيم
يا ربِّ خلّصْهُ لِوجهِ البارِي   نظمَ عُبَيْدٍ من بَنِي الأَنصارِي

أَدعُو الكريمَ باسطَ الأَنْوَارِ لِنسْلِنَا من دوحةِ الأنصارِ
امْنَحْهُمُوا يَا رَبَّنا السدادَا هَيِّئْ لَهُمْ بفضلِكَ الرَّشَادا
واجْعَلْهُمُوا بِالْحَقِ عَامِلِينَا لِدِينِك الْحَنِيفِ خَادِمِينَا
أَدِلَّـــةً عَلَـى مَـعَـالمِ الْهُدَى ونضِّرَنْ وُجُوهَهَمْ يومَ النِّدَا
ووفِّقَنْ مِنْهُمْ إِلَهِي كُلَّ بَرّْ والآلَ والأَهـلَ كَذَا أَبَا عُمَرْ
وأَوْصِـلِ الصلاةَ بِالسّلامِ على النَّبِيِّ الْمُصطَفَى الإِمَامِ
وآلِـــهِ الأمــاجِـدِ الأَخـيــارِ وَصَحْبِهِ وجُملَةِ الأنصارِي
وكـلِّ تـابـعٍ لهم عَلى الأَثـرْ ونَجّنَا وَهُمْ إِلهِي مِنْ سَقَرْ

وبمسيرتك مع الأرجوزة متخذا دليلا ما أتحفك به الشيخ من توجيهات تـرى أنك قد برعت في تحديد مطلع السنة الهجرية التي افترضتها ، واليوم الأول من كل شهر فيها.

والمنظومة جيدة المضمـون ، بارعة الصوغ عظيمة الهدف ، وقـد نظـم منظومة في معرفة أيـام البروج وترتيبهـا ، فأجاد ، وأبدع ، في عبارة سلسلة ، ونظم أخَّاذ ، فقال رحمه الله تعالى :

يا سائلي عنْ عَدَدِ البروجِ خُذْها بلا هَبْطٍ ولا عُروجِ
حمَلٌ وثـورٌ سرطـانٌ وأسدْ سنبلةٌ فـوقَ الثلاثينَ أحدْ

أيــامُ جــوزاءَ بـغـيـرِ مينِ فـوقَ الثلاثين فقل يومينِ
ميزانها فعقربٌ فالحوتُ دلْـوٌ ثـلاثـون لـكـلٍّ أُوتُـوا
قوسٌ فجدْيٌ تسعٌ معْ عشرينا خُـذْ عَـدَّ أيـامِـكَ أجمعينا
وإنْ تُرِدْ تِلوَ البروجِ في الأثرْ بِلا تداخلٍ فخذْ من ذي خبرْ
حَمَلٌ وثـورٌ ثم جـوزاءُ قفِ فالسرطانُ ثم ليْثُ فاعرفِ
سنبلةٌ مـيـزانُ عقربٌ كذا قـوسٌ فجدْيٌ ثم دلوٌ فخُذَا
والحوت ختمٌ للبروجِ أجمَعْ صلِّ على الهادي الرسولِ الأرفعْ

والشيخ إبراهيم رحمه الله تعالى كعادته سلس العبارة، بارع الصياغة ، عبقري الإيقاع ، ماهر في امتلاك القلوب والأسماع ، فائـق في رصف المعاني ، ساق إليك الـبروج في ترتيبها محددا لك أيامها .

عرفنا الشيخ في طفولته محبا للقرآن الكريم، شغوفا به، حريصا على حفظه ، يختار الأجود من معلميه ، ومتقني الأداء من حفظة الكتاب العزيز ، وما يُظَنُّ أبدا أنه بعد عودته من (جناح) قد انطوى على نفسه ، ولم يفد أهله وعشيرته بما تعلم بل لا بد أن يكون قد حفَّظَ وعلَّمَ ، وإن كانتِ الفترة التي أقامها بعد العودة من (جناح) ثلاث سنوات ، أو تزيد قليلا.

وما كان خروجه إلى شبه الجزيرة إلا ليعطي، وما كان لديه غير القرآن الكريم ، وما مَنَّ الله تعالى عليه به من علم .

لقد اجتمع الشباب حوله في الخور فعلام اجتمعوا ؟

لقد اجتمعوا للتنافس في كتاب الله تعالى ، والتسابق في حفظه ومدراسته حتى أتم الله تعالى تلك النعمة على كثير منهم ، وحفظ كل ما تيسر له من القرآن الكريم ، فعلى يد من يسر الله ذلك لهم ؟

وعنه -رحمه الله تعالى- أخذ بعضهم مبادئ القراءة والكتابة .

وهـرع إليه الناس بأطفالهم ، فمـا محركهم إلى أن يسلموا إليه أطفالهم؟

إنه القرآن الكريم، فالبيئة طيبة ، والنزعة الدينية مسيطرة، وها هو الشيخ إبراهيم حبّبه إليهم خلقه ، وزكاه عندهم حفظه الكتاب العزيـز ، وما تبـدى لهم من علمـه ، وأطفالهم فلـذات أكبادهم ، فلماذا لا ينورون صدورهم وعقولهم بكلام الله تعالى؟

أمـا وقد ساق الله إليهم ذلـك الشيخ (إبراهيم بن عبد الله الأنصاري) ، فكيف لا يتخذونه مؤدبا لأولادهم ، ومعلما لهم؟

وهكـذا هيأت له الأقـدار أن يكون له دور بـارع، وهو لم يبلغ العشرين من عمره ، ودور بارز في التربية ، وخطوات واسعة في محاربة الأمية في مجتمع كريم أحبه ، وأولع به ، وبارك جهوده ، وقدر عطاءه ووثق فيه .

ألا يعد هذا إرساءً لقواعد النهضة التربوية في قطر؟

ولعلك تعجب إذا علمـت أن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ عاد إلى فـارس وعمره أربعة وثلاثون عامـا تقريبا ، ومع ذلك كان همـه الأول طلـب العلـم، وانقطع للـدراسة على يـد (سلطان

العلمـاء) وتفرغ للأخذ عنه في (لنجة) قرابة عامين جمع فيها ما أفاء الله تعالى به عليه من العلم، وبعد أن أنهى دراسته عاد إلى (جفر مسلم) فأقام في أهله وعشيرته، وأحال عليه أستاذه بعض حالات التحكيم للفصل فيها وقد أجازه للفتوى ، فصار مفتي (جفر مسلم)، وما جاورها من البلاد ، ومع ذلك جعل للتربية حظا وافرا في جهده ووقته، فعكف على تعليم القرآن الكريم وتدريس ما تيسر من علومه، وما تصلح به العبادة من الفقه ، فضلا عن تعليم القراءة العربية والكتابة .

وبعد رجوعه إلى الخور واستقراره بها كان التعليم النظامي لم يشق طريقه إلى قطر ، حيث لم يكن هناك غير المدرسة الأثرية[1] التي تم استدعاء الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع ، والذي كان يعمل قاضيا بالبحرين، وعهد إليه بافتتاحها عام ١٩١٣م وكانت توجد إلى جانب تلك المدرسة الكتاتيب التي ظلت تمارس نشاطها ، وتؤدي دورها حتى بعد إغلاق المدرسة الأثرية ، وكان من هذه الكتاتيب ما اختص بتحفيظ القرآن

---

(١) كانت المدرسة الأثرية مع بساطتها مدرسة نموذجية في ذلك الوقت ؛ حيث تعد أكثر تطورا وتنظيما من التعليم السائد بالمنطقة آنذاك، وقد شملتْ تدريس العلوم الشرعية مثل : علوم القرآن الكريم والتوحيد والفقه وعلوم الحديث الشريف وكذلك علوم اللغة العربية كفقه اللغة وقواعد اللغة العربية من نحو وصرف، بالإضافة إلى البلاغة والأدب شعراً ونثراً.

الكـريم ومبادئ الدين فقــط، وكان هذا النــوع موجودا ـ في كل القرى تقريبا يضم الذكور والإناث حتى العاشرة .

وهناك نوع آخر كان أكثر تطورا، وأغزر عطاء وأقوى إعدادا لطلابــه ويدرس فيــه إلى جانب القرآن الكـريم تعليم القراءة والكتابــة ، ومبادئ اللغة العربية ، وبعــض مبادئ الحساب ولم يكن هذا النــوع منتشرا انتشار الكتاتيب بل كاد يكون مقصورا على الدوحة والقرى الكبيرة.

كانت هذه الكتاتيب تتميز بوجود مكان مخصص لها ، وعادة مــا تتكون من فصل واحد يفرش بالبــسط أو الحصير لجلوس الأولاد ، وسجــادة صغيرة للمعلم ، وكان يطلــق عليها، مدارس وتعرف بأسماء معلميها ، أو منشئيها ، واشتهرت كذلك بأسماء القائمين عليها، والطلاب ينظمون فيها حسب المستوى التعليمي لــكل طالــب، والترقي ـ في الــدراسة بها يحدده مجهــود الطالب نفسه ، وليس جماعيا كما هو ـ في التعليم النظامي ، ونتيجة لذلك كان يتــم تحفيظ أجزاء مختلفة لمجموعــة من تلاميذ الفصل ، بينما تتعلم مجموعة أخرى اللغة العربية، أو مبادئ الحساب .

وكانت أشهر هــذه المدارس التي ظلت موجودة ـ في قطر حتى

أواخـر الأربعينات خمـس عشرة مدرسة ، منهـا إحدى عشرة مـدرسة بالدوحـة ، تنسب ثلاث مـدارس منهـا إلى مطوعات بينما قامت بالقرى الكبيرة أربع مدارس ، منها مدرسة الشيخ إبراهيم الأنصاري بالخور .

ويبـدو أن مدرسة الشيخ إبراهيم الأنصاري كانت أكبر سعة وأكـثر عـددا في طلابهـا يدلنا علـى ذلك عـدد القائمين على أمرها ؛ حيث كان:

- الملا عبد الله بن صالح الخليفي مديراً لها .
- السيد إبراهيم السيد إمام جامع الخور مدرساً بها .
- الملاَّ محمد أحمد الأنصاري مدرساً بها .

لقـد استوعبـت هذه المدارس مـن الناشئة علـى أرض قطر مـن صاروا عُمَد البنـاء التربوي ، وأسس النهـضة التعليمية ، وبمشاركتهم كانت النهضة التعليمية في (قطر) .

الباحث تستوقفه نقاط في حياة من يبحث تكون بمثابة معالم هادية على طريق البحث تذكر الباحث وتستدعيه، وتفسح له المجال ليرى، ويعرف ، ويسمع نداء الواقع ، ثم يعمل فكره، وأخيرا يخرج ما اطمأن إليه قلبه ، واقتنع به لبه، وارتضاه ضميره، فماذا أرى وأنا أتناول شخصية كشخصية (ملا الأنصاري) في مراجع فارسية والشيخ إبراهيم بن عبد الله بن علي الأنصاري ، في المراجع العربية ؟

رغم قلة الحديث عنه في هذه ، وتلك مع ماله من دور بارز ، لو سطر لكان صورة مشرقة معطاء لجهد إسلامي لم يتوقف منذ اندماجه في حلقات التحفيظ بجفر مسلم في طفولته ، بل في سن مبكرة منها، إلى أن لقي ربه.

إن جهاده الدؤوب متعلما ومعلما مفتيا ومُحَكَّماً مربياً وقاضياً ، وناصحاً وداعياً؛ حتى وفاته عام ١٣٨٠هـ الموافق ١٩٦١م بدولة قطر، خير محدث عنه، وأعظم مذكر به ، وأكبر داع إلى مدارسة حياته.

أفتى - رحمه الله تعالى - فماذا وافانا من فتاواه وأحكامه؟

فتوى واحدة تداولتها مجالس القطريين، واشتهرت في الخليج عامة، وعند علماء مكة خاصة.

وحُكِّمَ في فارس، وولي القضاء في قطر فماذا وجدنا في تراثه من حالات التحكيم؟

لم يذكروا لنا في التحكيم غير قضية (محمد علي) مع أمير جفر مسلم أهذه وحدها ملأت عشرة أعوام - على الأقل - قضاها في عشيرته بعد إجازة (سلطان العلماء) له، وعودته من لنجة، وإحالة سلطان العلماء حالات تحكيم منطقة جفر مسلم وما حولها إليه؟

إن هذه الحالة لم تستغرق غير يوم التحكيم، وسبعة أيام في السجن، وأيام قلائل رحل بعدها إلى شبه الجزيرة العربية، مما يؤكد أنها تمثل آخر أيامه في بلاد فارس.

فأين ما كان من حالات التحكيم في تلك السنوات؟

ألم يُسْتَفْتَ؟

أما رجعوا إليه في أمور تخص الأسرة ؟

أين دوره الاجتماعي خلال هذه الفترة ؟

أخلت هذه الفترة ـ رغم طولها ـ من نشاط تربوي؟

لا أتصور أن هذه المساحة الخصبة من عمره مرت دون نشاط دعوي ؛ وقد شغلتْ أواخر الثلاثينيات ، وما يتخطى نصف الأربعينيات من حياته الناضرة .

ناهيك عن حياته السابقة في الخور والتي استأثرت بحوالي ثمانية عشر عاما من سني عمره.

ثم عودته إلى قطر وحياته بالخور التي امتدتْ لتتسع لستة وثلاثين عاما من عمره .

أليستْ سنوات كثيرة ؟ بم امتلأتْ؟

ماذا وصلنا عن نشاطه الاجتماعي ؟

إلام علت همته في مجال التربية ؟

أتكون الإجابة بقصاصات عن مدرسة بالخور؟

ما العبء الذي تحمله كداعية؟

حركته انطلاقاته ، نشاطه في المساجد وداخل المجتمع .

كيف تم بناؤه مسجد الذخيرة ، ثم جامع الخور؟

كم عدد القضايا التي أحيلتْ إليه؟

ما الطريقة التي اتبعها في دراسة هذه القضايا ؟

بم حكم في كل منها؟

وما مدى أثر هذا الحكم لدى طرفي الدعوة ، والمجتمع ثم الأوساط القضائية ؟

فيم أفتى ؟ وبم؟

علام كان يرتكز في أحكامه وفتاواه؟

ما السر في عبور بعض أحكامه وفتاواه حدود دولة قطر لتنتشر في شبه الجزيرة العربية ، وتعرف في مكة ويقف عليها في (مصر) علماء الأزهر الشريف؟

أما خط غير ما وصل إلينا ، وهو نزر يسير؟

أأعيب القلم والقرطاس ؟ أم أشكوا الكتبة ؟

أم أن الأمر أكبر من ذلك بكثير، وهو غياب الوعي التراثي؟

أم تعم شكايتنا كل ما تقدم؟

إن أقل القليل مما سبق كان كافيا لإثبات تراث إسلامي ذي قيمة ، ولكن لنا وله الله وكفى.

لقد حفظ الشيخ ما تيسر له من القرآن الكريم في (جفر مسلم) تحت رعاية والديه، حتى وفاة والده، وبلوغه التاسعة من عمره ؛ وأتم حفظه في (جناح) بتشجيع والدته ـ غفر الله لهم جميعا - واستوقف العلماء والحفظة والمحفظين ؛ ليسمعوا منه ما حفظ ، وهو لا يزال صغيرا، وكان رحيله إلى (جناح) بناء على رغبته الصادقة ، واختياره الخاص الذي أصر عليه ، وجعل ما قضى من سنوات في عشيرته بعد العودة من جناح في خدمة القرآن الكريم ولغته.

وحين رحل ـ رحمه الله تعالى ـ إلى شبه الجزيرة ، وأنزله القدر (الخور) ماذا حمل لمن حل فيهم ، وفي أي ظلال كانت معايشته لهم؟

لقد أتى بخير زاد القرآن الكريم ولغته ، وما آتاه الله تعالى من علم، أليس القرآن الكريم مقدمه للإمامة وسر اختياره ، لإمامتهم والإقامة فيهم؟

لقد نزل فيهم خير منزلة بالقرآن ، وطاب العيش له بينهم في ظلاله، بل زوج من كرائمهم المطوعة (فاطمة محمد المسعود) ، لأنه من أهل القرآن، والمجتمع القطري نزعته الدينية قوية ، وصلته بالكتاب العزيز وثيقة ، وقد وجدوا فيه بما أوتي من قرآن طلبتهم ، وألفوا لديه بما عنده من علم بغيتهم فأنسوا به ، وأنس بهم. لقد عاش الشيخ رحمه الله ـ تعالى ـ مع القرآن الكريم ، وبه، وعمل في خدمته، يقرأ ويقرئ ، ويتدبر ، ويعلم ، وانبرى قلمه، لينال شرف خدمة الكتاب العزيز ، وأشرقت الصفحات بين يديه بحروف من نور، فخورا بما سطر فيها عن النور الذي ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (١)

فطلع بتلك المنظومة الرائعة في ترتيب سور القرآن الكريم ، والتي بلغت أبياتها (٨٥) خمسة وثمانين بيتاً والتي مطلعها:

يا ربِّ صلِّ على خير الوجود ومَنْ	قد جاءَ من ربه نصًّا بقرآنِ
الحمدُ للّهِ ربِّ العالمينَ عَلَى	إرسالِ خيرِ الورى للإنسِ والجانِ

وختمها بصلوات طيبات مباركا على مسك ختام النبوة ، وآله، وصحبه، وتابعيه، وكان ختامها قوله:

---

(١) سورة البقرة الآية (٢)

فَصَلِّ ربِّ صلاةً لا انتهاءَ لها ولا تُحَدُّ مجاليها بأزمانِ
واغفرْ ذنوبي..فإني خائفٌ وجل بحقِّ أسمائك الحسنى وقرآنِ

وأسلوب القصيدة سهل ممتع يتدفق بالحياة ويهز صداه القلب ، ويسري إلى الروح فيزيدها وضاءة، ويعدها لما تسقبل من سور القرآن الكريم مرتبة بترتيب المصحف مع جودة في العرض وجمال في الصياغة ، وروعة الإيقاع ، والبراعة في جذب السامع والقارئ خذ مثلا قوله :

في عصرنا « الهمزُ» معروفٌ «ألمْ تَرَهُ»؟ قدْ أوْرَثَتْهُ «قريشٌ» كلَّ إنسانِ

لقد تضمن أربع سور من القرآن الكريم هي (العصر- الهمزة ـ الفيل ـ قريش).ذات الأرقام (١٠٣-١٠٤ -١٠٥- ١٠٦) في ترتيب الكتاب العزيز، وأضاف مع ذلك التحذير من خلق لا يهواه إلا لئيم ، ولا يميل إليه ذو الطبع السليم ألا وهو (الهمز) إشارة إلى (سورة الهمزة) ، وأحسن التعبير عن شيوعه، فقال مطلع البيت: (في عصرنا) وكأنه صار سمة ملازمة لهذا العصر حتى عرف به.

وكان قولـه: في (عصرنا) تعريفـا بليغـا بـسورة (العصر) السابقة لسورة (الهمزة) .

وأعقب ذلك بقوله معروف (ألم تره) لافتا القارئ إلى مطلع سورة الفيـل، وكأن هـذا الداء سرى من كفـار مكة ، ينتكس به الخلق، وتُشَوَّهُ الفطرة، وربما زلزل نفس المؤمن قوله :

.... قَدْ أَوْرَثَتْهُ «قريشٌ» كلَّ إنسانِ

فيهـدئ السامع ، ويخفف من روعه بـإشارة لطيفة تؤكد أن المصاب بهـذا الداء صنف خاص من النـاس فسدت فطرتهم ورقَّ دينهم ، فيتبع كل إنسان بقوله :

ماعُونُه فارغٌ من كلِّ مكرُمَةٍ ....

فيذكر سورة الماعون ويستعـير اسمها ليكمل به صورة ترينا الضعاف الذين فرغوا من الفضيلة تحت تأثير مغريات الحياة اللاهية ...

والمنظومة ميسورة التناول سهلة الحفظ ؛ إسلامية الطابع ، قرآنية العطاء .

ولا يقف بعطائه القرآني عند تلك الدرة الشعرية الغالية ، بل يرتقي بنا إلى عطاء أعلى وأرفع ، وأسمى وأنفع ، يخاطب به عامة القراء ، ويهديه إلى أهل القرآن الكريم حفظة، و محفظين ، و متدبرين ، أو باحثين خدمة للكتاب العزيز وأهله ، وتيسيرا على من لزموا ساحة الذكر الحكيم ، دراسة وتدريسا وتدبرا وتنويرا في سفر كريم ومؤلف عظيم ، هو(إرشاد الحيران لمعرفة آي القرآن).

فبالرجوع إلى هذا السفر القيم يمكنك –أيها المطالع العزيز ـ أن تعرف السورة ، وموقع الآية التي معك مع تحديد رقمها، ولا يكلفك المؤلف رحمه الله مشقة، ولا يوردك موردا صعبا ، وإنما يطلب منك تحديد الحرف الأول في الآية وثانيه تارة ، أو يطلب منك الكلمة المبدوءة بها آية تارة أخرى ، كالآيات المبتدئة بلفظ الجلالة (الله) مثلا ، والمفتتحة بـ(إلا) أو بـ(إن الله) وهكذا لا يكلف الرجوع إلى الأصل ، أو التجريد من الزائد، أو غير ذلك مما يحتاج إليه الباحث في التعامل مع المعاجم .

وهو كتاب ضروري للباحث والداعية ، والمعلم ، والقائم

علــى التربية، وخاصة معلـم العلوم الشرعية فـضلاً عن نفعه للمسلمــين كافة، فمن عامة الناس مــع يعايش القرآن الكريم ، ويعشق تعداد آياتــه ، وجمع المتشابه أوله منها ، لتحديد خواتم الآيــات ، أو غير ذلك مما يــراه صاحبه توثيقاً للصلة بالكتاب العزيز ، وتواصلاً مع عطائه ، وزيادة في التعريف عليه .

ويتــوج هذا المرجع الثمين ب(بــاب معرفة ترتيب نزول سور القرآن الكــريم وعدد آياتها ومعرفة مكيهــا ومدنيها) مع ذكر ترتيبها في المصحف الشريف.

وإذا كانــت السورة (مكية) وبها آيات (مدنية) ذكر عدد تلك الآيــات المدنية في نهر خــاص ، وكذلك إذا كانــت (مدنية) وبها آيات (مكية) ، كل هذا الجهد والطباعة لم تدخل قطر، ولم يكن هنــاك شيء من الوسائل المعينة، فالإضاءة بالسرج ، أو الشمع ، والكتابــة بالريشة، أو القلم الذي يغمــس في قارورة الحبر ، وقد يكون القلم عقلة من قصب تم بريها ، وإعداد طرفها للكتابة .

أمــا مــا افتقدنا من تــراث هذا الفــاضل الكــريم فهو كثير وكثير.

الفهـرس

م	الموضـوع	الصفحة
١	المقدمة	٣
٢	مرجحات هذا البحث ودوافعه	٧
٣	ولادته	١٠
٤	وفاة الوالد	١٣
٥	إلى جناح	١٥
٦	إلى الخور	١٧
٧	فاتحة البشريات	٢٠
٨	توطنه في الخور وزواجه منها	٢٢
٩	إلى فارس	٢٥
١٠	عودته إلى لنجة	٢٨
١١	سماح بالعودة وبشارة	٣٠
١٢	عودته الثانية إلى لنجة	٣٢
١٣	استقرار ومحنة	٣٤
١٤	الشيخ في السجن	٤٥
١٥	السجين يضحك والأمير يعجب	٤٩
١٦	محاولات يائسة	٥١
١٧	أزمة تشتد وفرج يسرع	٥٤
١٨	إلى شبه الجزيرة العربية	٥٨

م	الموضـوع	الصفحة
١٩	في الطريق إلى الخور	٥٩
٢٠	وصوله إلى الخور واستقراره بها	٦٢
٢١	ولايته القضاء	٦٣
٢٢	جوده وكرمه	٦٥
٢٣	تواصله مع العلماء في غير قطر	٦٩
٢٤	أهمية علم الفلك	٧٠
٢٥	الشيخ والفلك	٧٣
٢٦	صناعة التقويم القطري	٧٥
٢٧	تراثه الفلكي	٧٧
٢٨	الشيخ والتربية	٨٦
٢٩	الشيخ والكتاب العزيز	٩١